حياة المجاهد أحمد الشريف السنوسي في المنفى
أغسطس 1918م – مارس 1933م

د. سالم فرج عبد القادر السويدي
قسم التاريخ
كلية الآداب - سبها

تمهيد:

قبل الحديث عن حياة المجاهد أحمد الشريف في منفاه لابد لنا من إعطاء نبذ مختصرة عن حياته في ليبيا قبل مغادرتها ورحيله للدولة العثمانية. ولد المجاهد أحمد بن محمد الشريف ابن علي السنوسي في مدينة الجغبوب يوم الأربعاء الموافق 1875م، ووالدته كريمة عمران بن بركة، وكانت من فضليات السيدات، ونشأ أحمد الشريف في بيت كريم، فشب الابن على غرار آبائه وأجداده، وانكب من حداثته على القراءة والدرس ثم حفظ القرآن الكريم وكان منذ بدء حياته عظيم الاحترام وشديد الاعتقاد والإقتداء باثنين : أولهما عمه السيد المهدي الذي كان لا يرى أحداً يجاريه في علمه وورعه وتقواه وأخلاقه السمحة النبيلة وثانيهما أستاذه ومرشدة السيد أحمد الريفي، وكان هذا الأخير من أركان الطريقة السنوسية وأكابر علمائها [1].

وقد صقلته حياة الصحراء بقساوة ظروفها، وكثرة أسفارها لتوليه مهام رحلات عديدة ولمسافات طويلة، فنشأ غني التجربة، واسع المعرفة بأمور الحياة، إلى جانب صدق الإيمان الناتج عن علم وفهم والمترجم بالفعل قبل القول ليس على الصعيد المحلي فحسب بل على الصعيد الإسلامي، فقد عرف بأنه " البطل الإسلامي المرموق " واتسمت شخصيته بالصلابة والاستقامة في التعامل مع الآخرين[2]. وقد وصفه الأمير شكيب أرسلان بقوله :

"..رأيت في الرجل حبراً جليلاً وسيداً غظريفاً،وأستاذاً كبيراً، من أنبل ما وقع نظري عليهم مدة حياتي، جلالة قدر، وسراوة حال، ورجاحة عقل وسجاحة خلق، وكرم مهزة، وسرعة فهم، وسداد رأي، وقوة حافظة مع الوقار الذي لا تغض من جانبه الوداعة والورع الشديد من غير رياء ولا سمعة سمعت أنه لا يرقد في الليل أكثر من ثلاث ساعات ويقضي سائر ليله في العبادة

والتلاوة، والتهجد... وأكثر أحاديثه في قصص رجال الله وأحوالهم ورفقائهم وسير سلفه السيد محمد بن علي السنوسي، والسيد المهدي، وغيرهما من الأولياء والصالحين،وإذا تكلم في العلوم قال قولاً سديداً، سواء أكان في علم الظاهر أم والباطن... سريع الخاطر، سيال القلم، لايمل الكتابة أصلاً وله كتب منها كتاب كبير.. في تاريخ السادة السنوسية، وأخبار الأعيان من مريدهم والمتصلين بهم ... " [3].

وقال عنه محمد أسد الدين " ما من رجل ضحى بنفسه تضحية كاملة مجردة عن غاية في سبيل مثل أعلى كما فعل هو (أحمد الشريف). لقد وقف حياته كلهاعالماً ومحارباً على بعث المجتمع الإسلامي بعثاً روحياً، وعلى نضاله في سبيل الاستقلال السياسي،ذلك أنه كان يعرف جيداً أن الواحد لا يمكن أن يتحقق من دون الآخر " [4].

وقد صحبه عمه معه عند انتقاله من الجغبوب إلى الكفرة، وظل مقرباً منه يرقب الأمور عن كثب، ويزداد خبرة ومراناً، وانتقل مع عمه إلى زاوية قرو بالسودان، واشترك معه في الجهاد ضد الفرنسيين في شمال تشاد، وأسندت إليه مهمة الإشراف على نشاط المجاهدين و قيادتهم.

وقبل أن يتوفى عمه محمد المهدي في يونيو من العام 1902م في زاوية قرو توسم في ابن أخيه القدرة على الاضطلاع بأعباء الإمارة، والوصاية على الخليفة الشرعي محمد إدريس السنوسي، عهد إليه بالأمر من بعده. وكان ولا شك اختياراً موفقاً صادف ارتياحاً وقبولاً عظيمين من جانب الجميع، فلم تمض ثلاثة أسابيع على وفاة السيد المهدي حتى اجتمع كبار السنوسيين بالكفرة في 19 يونيو 1902م وتم اختياره زعيماً على الحركة السنوسية، وكان أحمد الشريف يبلغ الثلاثين عاماً من عمره حينها، وأخذ يدير شؤون السودان بكل همة من واحة الكفرة، التي ظلت مقر حكومة السنوسيين ومركز نشاطهم في عهده [5].

ومنذ توليه زعامة الحركة السنوسية أخذ على عاتقه مواصلة الجهاد ضد القوات الفرنسية في شمال تشاد حتى عام1911م العام الذي قامت فيه إيطاليا بغزو ليبيا حيث ترك الجميع الجهاد ضد القوات الفرنسية في جنوب ليبيا وشمال تشاد وتوجهوا إلى المناطق الساحلية لمواجهة الغازي الجديد.

ومنذ اللحظة الأولى التي وقع فيها الغزو الإيطالي قام أحمد الشريف بدعوة المجاهدين وجميع مشائخ القبائل إلى ضرورة حمل السلاح في وجه العدو الإيطالي، واعتبر الركون إلى الاستسلام والخضوع وتسليم البلاد للعدو ما هو إلا تفريط في حق الأمة وانتهاك لحرمة الإسلام وتدنيس لكرامة الوطن. وقد عبر عن غضبه ورفضه للاستسلام بقوله: " والله نحاربهم الطليان ولو لوحدي بعصاي هذه ... وإنني لا أتفاوض مع إيطاليا في بلادي ولا اتفق معها على تنازلي عن شبر واحد من البلاد ولا أحيد عن أحد الأمرين إما تحرير الوطن وإما الموت في سبيل ذلك، وإنني أعاهد الله أن لا أتساهل مع إيطاليا في حق من حقوق أهل البلاد ولا أتنازل لها عن مقدار حافر حصاني... ".[6]

وكان لإعلان أحمد الشريف الجهاد ضد الإيطاليين أثر كبير في سير حركة المقاومة في المنطقة الشرقية، فقد بث الحماس في قلوب المجاهدين من أبناء القبائل وساهم في رفع معنوياتهم، الأمر الذي جعلهم يتدفقون على معسكرات الجهاد بأعداد كبيرة. كما تميز موقفه خلال السنة الأولى من الغزو الإيطالي بتعاونه المطلق مع الضباط العثمانيين في منطقة درنة من أجل دعم الجبهة الوطنية، وضمان استمرارية حركة الجهاد ضد الإيطاليين، وتمثل ذلك التعاون في الاتصالات والمشاورات المباشرة التي كانت تجري بينه وبين أنور باشا التي انعكست في توجيهاته وإرشاداته المستمرة للمجاهدين.[7]

التدخل العثماني الألماني في ليبيا:

أسهم الموقف الدولي مع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914م في وضع حركة المقاومة ضد الغزو الإيطالي لليبيا في موقف صعب للغاية، فقد خفت تبعاً لذلك حدة المقاومة لاسيما في الجزء الشرقي من البلاد، وما أن دخلت الدولة العثمانية معترك الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد كل من انجلترا وفرنسا، حتى بدأ الساسة العثمانيون يخططون للعودة إلى ليبيا مستغلين في ذلك مشاعر الرابطة الإسلامية، مع عدم إغفال النية المبيتة لدى كل من الدولة العثمانية وألمانيا في اتخاذ ليبيا كقاعدة متقدمة لتطويق الوجود الإنجليزي في مصر، وفي هذا الصدد اختيرت منطقة امساعد منفذاً للعبور نحو مصر كما أن الدولة العثمانية وألمانيا قد بذلتا جهوداً كبيرة لأجل دفع قيادة حركة الجهاد

الليبي للدخول في مهادنة مع القوات الإيطالية على الجبهة الشرقية، وذلك لكسب ود إيطاليا وجعلها تقف على الحياد في مجريات الحرب العالمية الأولى ومن ثم جر أحمد الشريف إلى صف التحالف العثماني الألماني لمهاجمة الإنجليز في مصر.[8]

ولتحقيق هذه الغاية وقع اختيار العثمانيين على أحمد الشريف للشروع بهذا التوجه الجديد،وكان ذلك الاختيار أمراً طبيعياً، لأن الرجل كان أبرز قادة الجهاد الليبي من ناحية ولكونه ذا مكانة اجتماعية وصفة دينية تتعدى حدود القطر الليبي إلى ما جاوره من ناحية أخرى. وهكذا فإن القيادة العثمانية لم تكن تبحث عن قائد حربي أو رجل إداري، بل كانت تتطلع لاستقطاب قائد شعبي ذي نفوذ ومكانة مرموقة في المنطقة.[9]

وقد تم إرسال نوري بك شقيق أنور باشا وزير الحربية العثماني إلى طرابلس بصحبة جعفر العسكري[10]حاملاً معه كتاباً من شقيقه أنور باشا إلى أحمد الشريف، الذي التقى به في قرية أمسعيد بالقرب من منطقة السلوم، وسلمه رسالة أخيه أنور باشا التي كانت تحمل نبأ إعلان الجهاد ، وتعيين السلطان العثماني (محمد رشاد)له نائباً عنه في أفريقيا الشمالية[11]، وخوله بماله من نفوذ مطلق مدنياً وعسكرياً حق إعطاء الرتب والنياشين، والعفو عن المحكومين، والتولية، والعزل دون الرجوع إلى دار الخلافة باسطنبول، وبعد تعيينه نائباً للخليفة منح أحمد الشريف رتبة المشير ورتبة وزير، ورتبة الباشاوية من الدرجة الأولى ونال عدة أوسمة رفيعة منها الوسام العثماني.[12] كما قام السلطان العثماني بإصدار منشور يدعو فيه العرب الليبيين بالوقوف مع الدولة العثمانية والجهاد ضد أعداء الإسلام.[13]

وبعد إطلاع أحمد الشريف على المخطط العثماني الألماني، رفض من حيث المبدأ فكرة الهجوم على القوات البريطانية في مصر رفضاً قاطعاً، لأن مصر كانت تشكل الشريان الرئيسي المغذي لحركة الجهاد في المنطقة الشرقية وليس حرصاً على صداقة الإنجليز كما يدعي البعض.[14]

ونتيجة لهذا الرفض تعرض أحمد الشريف إلى العديد من الضغوط المختلفة كان أولها الضغوط التي مارسها عليه الليبيون القادمون من اسطنبول بقيادة

سليمان الباروني والتي تنادي بضرورة المشاركة في الهجوم على القوات البريطانية في مصر انطلاقاً من الأراضي الليبية، بالإضافة إلى تعرضه إلى ضغوط أخرى من قبل (منظمة تشكيلات مخصوصة)[15] التي حاولت أن تجعل منه أداة طيعة تستغلها حسبما تمليه مصالح الإمبراطورية العثمانية، وليس حسبما تقتضيه مصلحة حركة الجهاد في ليبيا، والمتمثلة في تحرير البلاد من الاحتلال الإيطالي.[16]

كما وصلت إلى أحمد الشريف عدة كتابات من صديقه أنور باشا وزير الحربية في الدولة العثمانية، يظهر له فيها محاسن الهجوم على القوات البريطانية في مصر، إلا أن أحمد الشريف كان يرد عليه ويحاول أقناعه بأن المسألة ستكون سيئة العواقب، ويتضح هذا المعنى من رسالته إلى أنور باشا في يناير 1915م ومما جاء فيها : "... حرب يأتيك (يقصد به حرب الطليان) وحرب تأتيه (يقصد به حرب الإنجليز)، فالحرب الذي يأتيك يجب عليك مدافعته بأي حالة كانت، والحرب الذي تأتيه يجب عليك الاستعداد له ".[17]

وتوضح رسالة أحمد الشريف إلى أنور باشا أنه مهتم بأمر حربه مع الإيطاليين الذين احتلوا ليبيا، وأنه يركز جهوده عليها من أجل تحرير بلاده وفي الوقت نفسه فهو غير مستعد لإعلان حرب جديدة لا قدرة له عليها ولا تسمح ظروفه الحربية والاقتصادية للقيام بها.

مشاركة أحمد الشريف في الهجوم على القوات البريطانية في مصر :

اشترك أحمد الشريف في الهجوم على القوات البريطانية في مصر على الرغم من أنه كان يعارض هذا الهجوم بشكل قاطع، وقد دارت العديد من المعارك[18] بين الطرفين لا يسع المجال لذكرها، غير أنه يمكن القول إن نتائجها كانت في الغالب لصالح القوات البريطانية حيث أخذت الهزائم تتلاحق على قوات المجاهدين، فبعد معركة (بئر بوتونس) يناير 1916م عقد أحمد الشريف اجتماعًا في خيمته حضره نوري باشا وجعفر العسكري ومحمد صالح حرب، وقد انحى فيه باللائمة على نوري باشا وجعفر العسكري اللذين تسرعا في بدأ العمليات العسكرية، بالرغم من عدم استكمال الاستعدادات اللازمة لها وخاطبهما قائلاً : "... لقد قفلتم أنوفنا فمن أين نتنفس... فما رأيكم وقد

أوصلتمونا إلى هذا الحال... وظهر أنني كنت على هدى وكنتم على ضلال.."[19].

وقد اتضح من خلال نتائج المعارك الأولى التي دارت بين الطرفين ؛ أن قوات المجاهدين كان ينقصها الكثير، من العتاد والذخيرة والسلاح المتقدم والمتطور، وكذلك في المؤن والاحتياجات العامة الضرورية كالدواء واللباس وتأثرت بقية المعارك ونتائجها تبعًا لذلك، فأخذ المجاهدون في الانسحاب والتقهقر من أمام القوات البريطانية التي تمكنت من صد الهجوم العثماني الألماني عليها، وانتصرت في أغلب المعارك، وأمام هذه التطورات اضطر أحمد الشريف بمن معه من القوات إلى الانسحاب إلى الواحات المصرية ومنها إلى واحة الجغبوب داخل الأراضي الليبية.[20]

وقد تركت مشاركة أحمد الشريف في هذه الحملة بعد فشلها آثاراً بالغة الخطورة على حركة الجهاد يمكن أن نجملها في الآتي :

أولاً : أوقفت الحملة حركة الجهاد ضد الإيطاليين في المنطقة الشرقية فترة طويلة من الزمن (1916 - 1923م) فضاعت بذلك فرصة مواصلة القتال ضد الغزاة الإيطاليين وتحرير البلاد منهم خصوصاً وأنهم كانوا مشغولين بمعارك الحرب العالمية الأولى في أوروبا وقواتهم في ليبيا محاصرة في المدن الساحلية. [21]

ثانيًا : قفل الحدود المصرية الليبية والتي كانت تمثل الشريان الرئيس المغذي لحركة الجهاد في برقة.

ثالثًا :بعد الهزيمة التي حلت بقواته لم يجد أحمد الشريف بداً من تسليم القيادة إلى محمد إدريس السنوسي وترك البلاد والرحيل إلى الدولة العثمانية.[22]

رابعاً : إحداث تخلخل واضح في الوضع السياسي بالمنطقة الشرقية، فبعد أن كانت قيادة المجاهدين صلبة قوية لا تلين تطالب بشئ واحد فقط هو تحرير الأرض والوطن، وإجلاء الغاصبين،ولا تقبل في ذلك صلحاً أو مهادنة إلا على هذا الأساس ؛ تغيرت الأوضاع واضطرت القيادة الجديدة المتمثلة في محمد إدريس السنوسي إلى الصلح والمهادنة، بل وإلى أبعد من ذلك وهو الاعتراف بشكل أو بآخر بالاحتلال الإيطالي لليبيا.[23]

وفي النهاية يمكن القول إن حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر كانت كسباً ونفعاً كبيرين للإيطاليين ؛ لأنها حطمت عزيمة المجاهدين في المقاومة، وزعزعت قيادة أحمد الشريف وأظهرت ضعف إمكانياتها الحربية وقدرتها القتالية، ومهدت السبيل بالتالي لظهور أنصار الصلح والتفاوض الذين قادهم محمد إدريس السنوسي على ذلك الدرب.[24]

الظروف التي أدت إلى رحيل أحمد الشريف إلى الدولة العثمانية:

بعد فشل الحملة العسكرية على القوات البريطانية في مصر، وانسحاب أحمد الشريف إلى واحة الجغبوب وصله خطاب من محمد إدريس السنوسي ـ الذي تولي قيادة حركة الجهاد بعد فشل الحملة على القوات البريطانية في مصر ـ مضمونه إنه جاءه انذار من الإنجليز يقولون فيه إذا لم يغادر أحمد الشريف ومحمد صالح حرب بقواتهم واحة الجغبوب في خلال أيام محدودة فإنهم سيقومون بتدمير الواحة وتحطيم مقام السيد محمد علي السنوسي الموجود بها.[25] وقد خشي أحمد الشريف أن ينفذ الإنجليز تهديدهم فقرر مغادرة واحة الجغبوب إلى الواحات جالو، أوجله ومنها إلى مرادة الواقعة في الصحراء غربي جالو، ومنها إلى زلة ثم توجه إلى منطقة ودان التي وصلها في 6 يوليو 1917م.[26] وفي أواخر سنه 1917م رحل مع أتباعه إلى منطقة سلطان بخليج سرت ومنها إلى منطقة العقيلة،والتي أصبح فيها محاصراً لا يملك سوي نسخة من المرسوم السلطاني القاضي بتعيينه حاكماً على ليبيا وأدرك أحمد الشريف بعد فوات الأوان، أن ذلك المرسوم لم ينقذه وجيشه من الهلاك المحقق بعد أن أصبح محاصراً في منطقة العقيلة.[27]

وقد عبر أحمد الشريف خير تعبير عن هذا الموقف فيما بعد في خطاب بعث به إلى الشيخ عمر المختار واصفاً فيه الوضع الذي آلت إليه قواته بعد أن أصبح بين نارين على حد قوله، ومما جاء في الخطاب[28] :

"... إنني والله ثم والله مهتم بكم وبالوطن أكثر من اهتمامي بنفسي وأهلي ... أما خروجي من الوطن وسفري إلى بلاد الترك،والله ما سافرت إلا جبراً عليّ واضطراري فيما كنت فيه، حيث كنت في العقيلة ما بين نارين غربية وشرقية النار الغربية نار رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير ومن تبعهم والنار

الشرقية، نار إدريس السنوسي الذي اتفق مع الطليان والإنجليز وقاطعوني ومنعوني من دخول برقة والجبل الأخضر ".[29]

بعد عودته وجد أحمد الشريف أن البلاد قد تعرضت لظروف طبيعية وصحية قاسية كما لاحظ تطوراً خطيراً في الأحداث السياسية حيث قام محمد إدريس السنوسي بعقد اتفاقيات مع الإيطاليين والإنجليز في برقة[30] منع بموجبها أحمد الشريف من التوجه إلى المنطقة الشرقية فآثر أن يتوجه بقواته إلى الغرب سالكاً طريق الواحات الجنوبية حتى وصل إلى منطقة سرت واستقر به المقام في منطقة العقيلة [31]، وبسبب الحصار الذي فرض عليه وصل أحمد الشريف وأتباعه إلى درجه من الاحتياج لا مثيل لها، فقد كان يمر اليوم بكامله دون أن يقتات الواحد منهم أي شئ مما تسبب في أن يتساقط العشرات منهم بسبب الجوع والمرض[32] ؛ مما دفع محمد صالح حرب إلى أن يرسل أحد ضباطه ويدعى عبد القادر طراف يرافقه خمسة وعشرون رجلاً إلى نوري باشا في مصراتة لكي يأتوا بالإعانة التي وعد بها الأخير ؛ إثر وصول الدكتور دسوقي برسالة محمد صالح حرب إليه. [33]

وفعلاً قام نوري باشا بإعداد قافلة تشمل أسلحة ومالاً وأرزاقاً، إضافة إلى ما اشتراه الضباط المبعوثون من أمتعة وملابس واحتياجات عامة، ولم يعلم نوري باشا رمضان السويحلي بأمر القافلة المتجهة إلى أحمد الشريف. إلا أن رمضان السويحلي عندما علم بأمرها دبر أمر القضاء عليها، واغتصاب أرزاقها، وقتل أفرادها عن طريق إعداد خطة رهيبة نفذت بواسطة قائد شرطته المدعو محمد الحداد، الذي قام بتجهيز قوة من مائة رجل مسلح، وجعل عليها رئيسين أحدهما يدعى محمد سليمان الجطلاوي، والثاني عبد العزيز الدنيخ، وأمر تلك القوة أن تجد في السير لتكمن للقافلة في وادي زمزم، وقد نفذت هذه الخطة بدقة واستطاعت هذه القوة من القضاء على القافلة، والعودة إلى رمضان السويحلي بصناديق النقود والأسلحة والمؤن.[34]

وبعد أن وصل نبأ ما حلّ بالقافلة كاد الأمر يفلت من يدي محمد صالح حرب، لأن المجاهدين أصروا على مهاجمة مصراتة اقتصاصاً من رمضان

السويحلي وفعلته الشنيعة ولو أدى هذا العمل إلى هلاكهم جميعاً. إلا أن أحمد الشريف استطاع بفضل ما كان يتمتع به من نفوذ عظيم من تهدئتهم.[35]

وقد تعرض رمضان السويحلي للنقد من بعض رجاله المخلصين بسبب تجاهله لماضي أحمد الشريف في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي والإيطالي والبريطاني، وفي عدم مبالاته بالظروف الصعبة التي كان يمر بها، وحاجته الماسة إلى هذه المساعدات.[36]

كما كان لهذه العملية أثرها السيئ في نفس نوري باشا الذي تأثر كثيراً لذلك ولم يكن في استطاعته القيام بأي عمل مضاد تجاهها، وكان من نتائجها ظهور الخلاف الواضح بينه وبين رمضان السويحلي، فقد احتج نوري باشا على هذه العملية بكل قوة لدى رمضان السويحلي الذي قام بالتظاهر بإدانته لهذا العمل وبعدم قبوله لمثل هذا التصرف كي لا يتهم بالمسؤولية المباشرة عما حصل لتلك القافلة.

ومن جهته قام نوري باشا على الفور بتجهيز قافلة أخرى تمكنت هذه المرة من الوصل إلى أحمد الشريف،وعلى إثرها أرسل الأخير خطاباً إلى نوري باشا موضحاً فيه أنه في حال انتقاله إلى طرابلس بصفته ممثلاً للسلطان العثماني ليقوم شخصياً بقيادة العمليات الحربية ضد الإيطاليين، فإنه لم يعد قادراً والحال هذه على القيام بتلك المهام على نحو مشرف طالما استمر نوري باشا في علاقته برمضان السويحلي، ولو استمر الحال على ذلك النحو فسوف يسقط من اهتماماته طرابلس الغرب عامةً ، وينسحب إلى واحة الكفرة. [37]

وما أن تلقى نوري باشا رسالة أحمد الشريف حتى دعا إلى اجتماع بمدينة مصراته حضره رمضان السويحلي وآخرون، وبعد أن أثنى نوري باشا في الاجتماع على شخص رمضان السويحليإعتباره مقاتلاً وشجاعاً وقائداً كبيراً ذكره بواجب الامتثال لأوامر السلطان العثماني، والعمل على طاعته وهو ما يعني أن تكون ولاية طرابلس الغرب لأحمد الشريف، إلا أن رمضان السويحلي رد عليه قائلاً أنه لا يستطيع الاعتراف بشخص من الحركة السنوسية كممثل للسلطان العثماني في المنطقة الغربية، وبالأخص إذا كان هذا الممثل من خارج طرابلس نفسها.[38]

غضب نوري باشا من رد رمضان السويحلي وهدد بترك ليبيا، محملاً إياه ما سيترتب على ذلك من نتائج، وهكذا فشل نوري باشا في توحيد الجبهة الغربية ضد القوات الإيطالية،وغادر متوجهاً إلى اسطنبول في أوائل شهر يناير من العام 1918م.[39]

وقبل مغادرته قام نوري باشا بتكليف اليوزباشي أركان حرب (محمد نشأت) ليتولى قيادة جبهة مصراته، وفي الوقت نفسه وصل الضابط (إسحاق باشا) إلى طرابلس كبديل لنوري باشا،حيث اتخذ من الزاوية الغربية مقراً لقيادته وسرعان ما اختلف هو الأخر مع رمضان السويحلي، وكاد يصل الخلاف بينهما إلى اشتباك مسلح، غير أن وصول الأمير عثمان فؤاد [40] قد أنقذ الموقف.

حاول الأمير عثمان فؤاد تسوية الخلافات بين رمضان السويحلي وأحمد الشريف، إلا أن الأول عارض في ذلك، واستمر على نفس موقفه السابق من نوري باشا، وترتب على ذلك أن فشلت مساعي الأمير عثمان فؤاد في تسوية الخلافات والذي قفل عائداً إلى مدينة مصراته.[41]

رحيل أحمد الشريف إلى الدولة العثمانية:

بعد رفض رمضان السويحلي كل المساعي الرامية لتسوية الخلافات وتوحيد الجبهة الوطنية تحت قيادة أحمد الشريف قرر الأخير إرسال قائده محمد صالح حرب إلى الأمير عثمان فؤاد في منطقة مصراتة، وحمّله رسالة تتضمن طلباً بأن تقوم إحدى الغواصات الألمانية بنقله إلى اسطنبول ليقابل أنور باشا وزير الحربية، وليبحث معه تطورات الموقف في ليبيا.[42]

نقل الأمير عثمان فؤاد رغبة أحمد الشريف بزيارة العاصمة اسطنبول إلى أنور باشا، فما كان من الأخير إلا أن سارع بتلبية الطلب، وفيما يبدوا كان ظاهر هذه الدعوة أن ينال أحمد الشريف باعتباره بطل إسلامي مرموق شرف تقليد (سيف عثمان) للسلطان محمد وحيد الدين (1861م - 1926م) كخليفة للمسلمين، أما باطن هذه الدعوة ـ كما أراد لها أنور باشا ـ هو تسخير المكانة الدينية لأحمد الشريف في تهدئة روح الثورة التي قادها الشريف حسين في الحجاز وسوريا منذ عام 1916م من جهة، وليلعب دور المفاوض مع الشريف

حسين باسم الدولة العثمانية من جهة أخرى، وفي أوائل أغسطس سنة 1918م حمل كل من يوسف بن شتوان [43]، وحسام الدين بك الدعوة الرسمية الصادرة من السلطان العثماني والتي يدعو فيها أحمد الشريف لزيارة اسطنبول. وتلبية لهذه الدعوة شكل أحمد الشريف وفداً رفيع المستوى ليكون في معيته أثناء سفره إلى اسطنبول، ويضم كل من : صالح محمد بوعرقوب، والدكتور المسلاتي وعبد السلام بو قشاطة العربيين، والشيخ محمد عبد الله الميمون الزاوي شيخ زاوية سيرة، وعبد السلام حسين السوداني، والسنوسي عبد السلام الجريدي ومحمد صالح حرب. [44]

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ، إن اهتمام الدولة العثمانية بأحمد الشريف كانت له مبرراته ودوافعه، لا سيما فيما يتعلق بمكانته المرموقة وصيته الدائع في عموم العالم الإسلامي، الأمر الذي من شأنه أن يكسب العثمانيين وسياستهم تعزيزاً وإسناداً قوياً، خاصة وأن الخليفة الجديد السلطان (محمد وحيد الدين) قد ارتقى إلى العرش منتصف عام 1918م، وجابهته في مستهل حكمه مشاكل وعقبات جسام، أهمها أن الدولة العثمانية قد خرجت للتو منهزمة في الحرب العالمية الأولى، وأنها فقدت ما تبقى من مناطق نفوذ في آسيا وأوروبا، والأنكى من ذلك كله أن الأراضي الواقعة في قلب الدولة العثمانية قد وقعت هي الأخرى تحت سيطرة قوات الاحتلال الأجنبي بما في ذلك العاصمة اسطنبول، ومن هذا المنطلق فإن السلطان (محمد وحيد الدين) لمس في وجود أحمد الشريف إلى جانبه ما يعزز عرشه ويضفي على حكمه صبغة من الشرعية، وهذا بحد ذاته يكمن وراء الاهتمام الكبير بشخص أحمد الشريف. [45]

أحمد الشريف في ضيافة دار الخلافة العثمانية :

غادر أحمد الشريف البلاد متوجهاً إلى اسطنبول في النصف الأول من شهر أغسطس سنة 1918م، وبعد أسبوع وصل إلى ميناء بولا على الساحل النمساوي، ومنه إلى فيينا عاصمة النمسا رفقة حاشيته، وهناك أرسل إليه الإمبراطور النمساوي يريد مقابلته، ودون علم أحمد الشريف، أجاب يوسف بن شتوان بالرفض، ولما علم أحمد الشريف بذلك أبدى استياءه، وذكر أنه كان من

اللائق مقابله الأمبراطور لا سيما أنه هو الذي طلب المقابلة، وتابع أحمد الشريف رحلته إلى عاصمة الدولة العثمانيةمستقلاً القطار، حيث وصلها في 31 أغسطس 1918مواستقبل استقبالاً رسمياً حافلاً في محطة (سركة جي) تدعيماً لموقفه وتشجيعاً لقادة الحركات الإسلامية آنذاك.[46]

وقد كان في مقدمة مستقبليه كبار رجال الحكومة العثمانية، يتقدمهم صديقه أنور باشا، وإبراهيم بك، وإحسان بك كاتب الديوان السلطاني، وفؤاد بك مدير التشريفات، وعلي رضا شيخ الإسلام، وأمين الفتوى، وأنزل أحمد الشريف بسراي (طوب كوبر)، التي كانت مقر الخلفاء من آل عثمان، وفي اليوم الثاني خصصت له مقابلة رسمية مع السلطان العثماني (محمد وحيد الدين)، الذي منحه وسام النيشان المجيدي من الرتبة الخامسة.[47]

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وتوقيع الدولة العثمانية الصلح مع الحلفاء فرض العثمانيون رقابة على حركة أحمد الشريف، وخاصة عندما شهدت الدولة بوادر انقسام بين السلطان العثماني في اسطنبول وأنور باشا في القوقاز ومصطفى كمال أتاتورك[48] في الأناضول، وقد حاول كل منهم اجتذاب أحمد الشريف إلى جانبه باعتباره زعيماً دينياً موثوقاً فيه، ومن ثم فإن من يؤيده يكسب شرعية دينية لدى عامة الشعب، لاسيما وأن الولاة العثمانيين قد اعتادوا الوقوف على بابه وطلب مرضاته، ومع أن أحمد الشريف اتخذ موقف الحياد إزاء القوى الثلاث المتصارعة،إلا أنه كثيراً ما كان يردد بأن أنور باشا كان متمسكاً بالإسلام، يغار عليه في أية بقعة ولا يفرق بين عربي وتركي وهندي وقد عرض أنور باشا على أحمد الشريف العودة إلى ليبيا مزوداً (20.000) بعشرين ألف رجل إذا نجح في حسم الصراع لصالحه، وهذا غاية ما يتمناه أحمد الشريف.[49]

تطور علاقته بمصطفى كمال أتاتورك :

في الوقت نفسه كان مصطفي كمال يضرب في تلك الآونة على وتر الجامعة الإسلامية، واتخذ من الدين أداة لحشد الأنصار في الأناضول وخارجها، وبدأت تلك السياسة واضحة من خلال خطبه وبياناته التي كانت تحمل الكثير من المعاني الدينية،حتى أن بعضاً من عباراتها بدت مفعمة بورع لا ريب فيه.[50]

أظهر أحمد الشريف ميلاً إلى جانب مصطفى كمال أتاتورك خاصةً بعد أن أقنعه بأنه جاد في إعادة الهيبة للخلافة الإسلامية إلى سابق عهدها، وقد كانت غاية أتاتورك من استقطاب أحمد الشريف إلى جانبه هو تعزيز مكانته في نظر شعوب الإمبراطورية العثمانية عامة ؛ والتي كانت تساورها الشكوك إزاء التغيرات السياسية المتلاحقة التي نجمت عن الانقلاب الذي قام به جماعة الاتحاد والترقي سنة 1908م.[51] وربما يتساءل المرء : لماذا ناصر أحمد الشريف أتاتورك، وتخلى عن السلطان العثماني محمد وحيد الدين ؟ لعل الجواب عن ذلك يكمن في أن أحمد الشريف مع أنه كان إمام زعامتين كلتيهما تمسحت بمسوح الإسلام، وادعت التمسك بخصاله وتعاليمه، إلا انه في مسألة الوطنية أو مقاومة العدو الأجنبي الكافر لم يكن أمامه إلا أن ينضم إلى جانب أتاتورك لأنه لمس فيه تجاوباً مع بعض أفكاره.[52]

اتسمت علاقات الرجلين بالمودة والصفاء. فعندما أعلن أتاتورك ثورته ضد السلطان العثماني كان مداوماً المراسلة مع أحمد الشريف، وكانت رسائله تدور حول استدرار عطف الأخير، وطالباً مناصرته له في ثورته ضد السلطان العثماني، وفي الوقت نفسه إبعاده عن دائرة نفوذ أنور باشا صهر السلطان العثماني وخصم أتاتورك التقليدي.[53]

وبرغم التحذيرات[54] التي أعلنها السلطان العثماني لأحمد الشريف عن حقيقة أتاتورك، وأن لا يغتر بمظاهر الدين التي يصطنعها من أجل الوصول إلى غايته، فأن أحمد الشريف لم يبال بما سمع عن مصطفى كمال، بل قرر أن ينتقل من بروسه إلى اسكي شهر منطقة نفوذ أتاتورك، والتي استقبله فيها عصمت باشا ـ الذي أصبح رئيساً للوزراء في الدولة التركية الحديثة فيما بعد وأسهم مساهمة كبيرة في تأييده لمصطفى كمال بتجواله بين مختلف طبقات الشعب الذين رحبوا بمقدمه،فكان يخطب فيهم داعياً إياهم إلى مساندة الحركة الكمالية ورفع عصا الثورة ضد الحلفاء الغزاة.[55]

فور وصول أحمد الشريف إلى أنقره في 5 أكتوبر 1920م كان في استقباله عند محطة سكة الحديد مصطفى كمال يرافقه أعضاء مجلسه الثوري كافة وتحادث معه في أمور كثيرة تهم العالم الإسلامي ومستقبل الأمة الإسلامية

وكان من جملة ما ناقشه معه مستقبل الخلافة الإسلامية كنظام، وعرض عليه منصب نيابة الخلافة، وذكر مصطفى كمال بالحرف الواحد أن حكومته الجديدة استكملت كل المناصب الوزارية وخاطب أحمد الشريف قائلاً : " إن مقام نيابة الخليفة لم نجد له من يليق به إلا سيادتكم، ونرجو أن تتمموا لنا هذا النقص في جهازنا ولكم علينا ميثاق الله وعهده أننا سنقوم بكل ما يترتب علينا نحو هذا المقام ". [56] وأضاف مصطفى كمال في إطار حديثه عن واجب الجهاد المقدس قائلاً : " في الحقيقة ما تعلمته من الدروس المفيدة : يعني الجهاد ولا تسربت في جسمي هذه الروح الأبية إلا في مدرستكم التي أسستموها لنا في برقة المجاهدة وها أنتم اليوم تؤسسونها عندنا من جديد... وأنت الأب وأنا الابن وكل ما تراه صالحاً مرنا به ونحن على أتم الاستعداد للتنفيذ وفي أتباعنا لكم شرف لنا". [57]

وتمثل هذه الفترة أوج الصداقة الحميمة بين مصطفى كمال أتاتورك وأحمد الشريف. ففي إبريل سنة 1921م رشحه (مؤتمر انغورا) بدعم من الكماليين ملكاً على العراق، إلا أن الإنجليز استبقوا ذلك بتنصيبهم فيصل بن الحسين ملكاً على العراق. [58] وفي أثناء اشتعال ثورة طوبال عثمان الأعرج ؛ قام الأكراد في ديار بكر بثورة ضد حكومة مصطفى كمال، وبما أن قوات الأخير كانت منشغلة في تهدئة ثورة طوبال فأن أحمد الشريف قد توجه بتكليف من مصطفى كمال أتاتورك إلى أكراد ديار بكر، وهدأ من روعهم وأقنعهم باسم الإسلام أن الحكومة الكمالية جاءت من أجل إسعاد المسلمين كافة، وطرد الأعداء الكفار المتربصين لهدم دولة الإسلام وشعائرهم، وتقدم الأكراد بمضبطة تحمل توقيع (1500) ألف وخمسمائة شيخ مؤكدين فيها قبول وساطته بعدم الانفصال عن دولة مصطفى كمال الفتية. [59]

غير أن هذه المضبطة أو العريضة كانت مذيلة بشرط أن تقام ولاية كردية يتولى رئاستها أحمد الشريف نفسه، غير أن كاتب أحمد الشريف وصف موقفه من العريضة بقوله : " إنني مجمع ولست بمفرق، ومصلح ولست بمفسد، كيف أرضى بشيء لم أرضه لكم وهذا معناه كسر شوكة الإسلام، ومساعدة العدو المتكالب على ابتلاع دين الإسلام، ولا وراء هذه الآمال من نتيجة تنفعكم ونصيحتي لكم ورضائي عنكم في قبول وساطتي وإكرام وفادتي ببقائكم على

العهد الذي قطعتموه سابقاً لحكومة مصطفى كمال أتاتورك، ومناصرتكم لها وإبعاد المفسدين الذين يزينون لكم هذه الأماني الخلابة المضرة".[60]

وانتهت الوساطة بقبول الأكراد الانصياع للحكومة الكمالية، وبينما كان أحمد الشريف يبذل جهوده المضنية لتهدئة المتذمرين من الحكومة الكمالية من عرب وأكراد اشتد الهجوم اليوناني على أنقرة،وكان أحمد الشريف مهتماً أشد الاهتمام بهذا الأمر خاصة بعد تسلم برقيات متعددة من مصطفى كمال يشكو فيها من ضراوة الهجوم اليوناني. ففي إحدى هذه البرقيات طلب مصطفى كمال من أحمد الشريف قائلاً : " اضرعوا إلى الله أن يدركنا بعنايته".[61] وقد غضب أحمد الشريف خلال تلك الأيام لأن العالم الإسلامي كان نهباً منهوباً، وكان يؤمل في انتعاشه إذا ما قامت الحكومة الكمالية على قدميها، ورد أحمد الشريف على برقية مصطفى كمال قائلاً : " ثق من الله بالنصر يأتيك الغوث أن شاء الله تعالى ".[62]

ثم بعث إليه وعلى وجه السرعة وفداً برئاسة الليبي محمد بن عبدالله الميهوب الزوي وحاملاً معه مصحفاً وسيفاً وبرنوساً خاصاً بأحمد الشريف وخطاباً يقول فيه لمصطفى كمال أتاتورك ما يلي: " بعثت إليك بمصحف الأمان وسيف النصر وكسوة الغزو والفوز إن شاء الله ".[63]

ويصف الشيخ الزوي أنه لما وفد إلى مصطفى كمال وهو منشغل في تعبئة جيوشه للهجوم المضاد على اليونانيين وهو على نهر صقاريا استقبله بحفاوة منقطعة النظير برغم انشغاله بالأعداد لذلك الهجوم، ولما سلم الشيخ الزوي هدايا أحمد الشريف لمصطفى كمال، قام الأخير على الفور وارتدى البرنوس وامتشق السيف،وعلق المصحف الشريف تبركاً به، ثم تقدم وصلى ركعتين في الحال بحضور أركان حربه عصمت باشا وفوزي باشا والشيخ الزوي نفسه وأعلن على الفور بداية هجومه الشهير على اليونانيين الذي كلل بالنصر المبين وينقل لنا مندوب احمد الشريف انطباعات مصطفى كمال فيصفه أنه كان في غاية السرور بعد أن تحقق له تهدئة الأكراد على يد أحمد الشريف، وانتصاره الساحق ضد اليونانيين الذي بشره به أيضاً، وفي أوائل سنة 1922م عاد أحمد الشريف من ديار بكر متجهاً إلى أزمير التي تمكن مصطفى كمال من طرد

اليونـانيين منهـا ومـن جميـع أراضـي الدولـة العثمانيـة وأقيمـت بمناسـبة هـذه الانتصارات الباهرة احتفالات كبيرة.[64]

وفـي أنقرة وفد لأحمد الشريف إلـى صـديقه مصـطفى كمـال مهنئـاً باحتفـالات النصر، وأقام في ضيافته لمدة أسبوعين كـاملين، ثـم عـاد إلـى طرسـوس، وبينمـا كـان أحمـد الشـريف يقيم هنـاك قـام مصـطفى كمـال بجولـة تفتيشـية مـن منطقـة الأناضول،وعرج على ولاية أضنة وجاء خصيصاً لزيارة أحمد الشريف الـذي احتفى بمقدم صـديقه وزعيم تركيـا المرتقب الـذي أصـبحت ترنـو إليـه الإبصـار وأقيمت بالمناسبة حفلة كبيرة على شرف مصطفى كمـال حضـرها قـادة كثيـرون وبينما كان الجميع يلتمسون الجلوس إلى مقاعدهم على المائدة التي أعدها أحمد الشريف وقف مصطفى كمال وتحدث بالتركيـة موجهـاً حديثـه لقادتـه العسكريين الحاضـرين معـه قـائلاً : " أيهـا الأخـوان اسـمحوا لـي أن أعـرفكم بمـن نحـن فـي حضـرته وعلـى مائدتـه، نحـن فـي حضـرة فخـر المسـلمين وحفيـد سيد المرسـلين المجاهد أحمد الشريف السنوسـي، معلمنـا الأول ومؤسـس أول مدرسـة فـي برقـة كنـا وفـدنا إليهـا، وتلقينـا دروس الجهـاد والمقاومـة والـدفاع عـن الـنفس والـدين والـوطن بهـا " ويشـير مصـطفى كمـال أتـاتورك بإصـبعه السـبابة إلـى أحمـد الشريف الجالس أمامـه قـائلاً : " هذا هو الـذي غرس فـي نفوسـنا شـجرة الـدفاع الثابتة وهو الذي آزرنا في محنتنا القاسية وشجعنا بأفكـاره وآرائـه الصـائبة حتـى نلنا شرفنا وعزتنا، وأنقذ من براثن الأعداء بلادنا فله منـي ومـن الحكومـة العليـة والشعب التركي كمال الشكر والتقدير".[65]

ثـم رد عليـه أحمـد الشـريف قـائلاً وهـو جـالس : " الشـكر لله وحـده هـو الـذي أيدكم ونصركم ومزق أعداءكم بسبب جدكم واجتهادكم وتوحيد صفوفكم ونرجو من الله مزيد من التوفيق ".[66]

الحراك السياسي لأحمد الشريف في بورصه :

كانت هذه المرحلة من حياة أحمد الشريف مليئـة بالأحداث ففـي أثنـاء إقامتـه في بورصه كلف وفد من الزعمـاء الليبيين برئاسـة بشـير السـعداوي بالسـفر إلـى اسـطنبول، وذلـك ليعـرض علـى المسـؤولين العثمـانيين إمكانيـة السـماح للوفـد بالسـفر إلـى فرنسـا لعـرض قضـية بلادهـم علـى مـؤتمر الصـلح المزمـع عقـده

بباريس في يناير عام 1919م، لاسيما وأن الدولة العثمانية لم يتسن لها حضور المؤتمر بإعتبارها طرف منهزم في الحرب وفي هذا الإطار فإن أحمد الشريف قد حمل الوفد رسائل توصية لعدد من كبار المسؤولين العثمانيين الذين تربطه بهم علاقات صداقة متينة، ومن بين أولئك ولي العهد عبدالمجيد أفندي، وخالد درويش الذي احتفظ بعلاقات طيبة مع أحد الزعماء السنوسيين المعروف بأحمد المهدي السنوسي.(67)

وفي اسطنبول، حظي بشير السعداوي بحفاوة بالغة، إذ استقبله فيها خالد درويش ثم اصطحبه لمقابلة ولي العهد عبدالمجيد أفندي الذي وعد بمفاتحة الصدر الأعظم توفيق باشا في موضوع طرابلس الغرب، إلا أن الحكومة العثمانية قد تلكأت في الوفاء بتعهداتها.

ولعل هذا ما جعل بشير السعداوي يتنقل بين بروصه واسطنبول العاصمة من أجل المزيد من الجهد لمقابلة عدد من المسؤولين العثمانيين أمثال عارف حكمت باشا وزير العدل، وفريد باشا وزير الداخلية وغيرهم من كبار رجال الدولة الآخرين.

غير أن خاتمة جهود السعداوي المضنية ومحاولاته الحثيثة لإقناع الحكومة العثمانية كي تسمح للوفد بالسفر إلى مؤتمر باريس قد ذهبت أدراج الرياح وبذلك تبددت الآمال العريضة من أجل إقناع قادة الدول الكبرى المشاركة في المؤتمر بضرورة منح الاستقلال لولاية طرابلس الغرب.(68)

من جهتها فإن الحكومة الإيطالية قد اتصلت بأحمد الشريف أثناء إقامته في بورصه، وحاولت استمالته والتصالح معه لمعرفتها التامة بموقفه المناوئ للوجود الاستعماري الإيطالي في ليبيا وفي هذا الإطار، فإن الحكومة المشار إليها قد بعثت بأحد ضباطها لمقابلة أحمد الشريف والتفاوض معه، إلا أن الأخير عبر عن موقفه الواضح الرافض للاستسلام أو مهادنة المحتل، وقال مخاطباً الضابط الإيطالي : " أننا لا نكره الصلح، ولكن على شرط الاستقلال الحقيقي لوطننا... إن طرابلس وبرقة ليستا ملكي لأجود بهما على الإيطاليين بل هما ملك أهلهما... "(69)

حاول بشير السعداوي اقناع أحمد الشريف باستغلال الفرصة والتصالح مع

الإيطاليين، إلا أنه فشل في ذلك، وهكذا انتهت المفاوضات دون التوصل إلى أي أتفاق أو تفاهم بين الجانبين. (70)

إن من أهم الأحداث البارزة في حياة أحمد الشريف خلال هذه المرحلة هو محاولة تكوين الجبهة الإسلامية فبعد أن فقد الخديوي عباس حلمي الثاني عرشه في مصر بعدما قام الإنجليز بعزله في 19 ديسمبر 1914م أثناء تواجده في تركيا ـ لشكوكهم المتزايدة في نواياه تجاه الحلفاء ـ بادر الخديوي المعزول إلى الاتصال بأحمد الشريف عن طريق أحد رجاله المدعو الشيخ محمود شويل المصري من أجل الحصول على موافقة ومؤازرته بنفوذه الديني والأدبي مع الأمراء المسلمين على تكوين جبهة إسلامية عريضة تحت رئاسته وبتمويليه وتجدر الإشارة إلى أن أمراء ومشائخ شبه الجزيرة العربية كانوا بين متحالف مع الإنجليز أمثال عبدالعزيز آل سعود أمير نجد، ومؤيد الدولة العثمانية كأبن الرشيد أمير حائل وقاعدة منطقة شمر الذي كان طامعاً في ضم أرض نجد وتؤيده في ذلك الحكومة التركية. كما كان هناك الإمام يحي حميد الدين إمام اليمن، والشيخ مبارك بن الصباح، رئيس مشيخة الكويت وحسن الإدريسي في منطقة عسير.

وبذلك حاول عباس حلمي أن يستغل نفوذ ومكانة أحمد الشريف الدينية لإذابة الفوارق بين تلك القوى المتصارعة وتسخيرها لصالح بناء جبهة إسلامية موحدة لمقاومة الاحتلال والسعي لتحرير العالم الإسلامي من الهيمنة الاستعمارية الغربية. (71)

وطلب الخديوي عباس من أحمد الشريف دراسة العرض المقدم وإبداء الرأي وبعد أن لقيت هذه الفكرة قبولاً واستحساناً من أحمد الشريف، فإن الأخير قد انتدب بشير السعداوي ليبحث تفصيلات هذا المشروع مع الخديوي وفي اسطنبول التقى الرجلان، وأعرب الخديوي عن استعداده لإنفاق مليون من الجنيهات الذهبية لتحقيق هذا المشروع، وطلب منه إبلاغ أحمد الشريف القيام بمواصلة أمراء شبه الجزيرة العربية وحثهم على الاشتراك في هذه الجبهة الإسلامية التي ترغب في تحرير العراق والشام ومصر وليبيا من السيطرة الاستعمارية. (72)

وعاد بشير السعداوي لبورصه وأبلغ أحمد الشريف، ما حصل في لقائه مع الخديوي عباس، فوافق أحمد الشريف، على هذا المشروع، وعلى الفور بدأ في إعداد الرسائل المراد إرسالها إلى أمراء شبه الجزيرة، حيث بعثها رفقة بشير السعداوي إلى اسطنبول لعرضها على الخديوي عباس إلا أنه لم يستطع أن يطلعه عليها بعد أن أدرك أن تحركاته تخضع للمراقبة من قبل الأجهزة الأمنية العثمانية، كما تجدر الإشارة إلى أن الخديوي كان في نفس الوقت مثار شك من قبل الحكومة البريطانية التي كانت حذرة من نواياه تجاه الحلفاء، ولذا قام السعداوي بإخفاء الرسائل بين كتب فقه ودين أودعها صندوقاً تظاهر بعدم الاهتمام به ومن شدة حرصه فأنه عمد إلى حفظ واستذكار ما كانت تحويه تلك الرسائل،وذلك حتى يقرأها من الذاكرة على الخديوي عباس بدلاً من المجازفة بحملها إليه، وبعد لقائهما أشار بشير السعداوي على الخديوي أن يقوم البكباشي عزيز بك الكردي بحمل الرسائل إلى أمراء ومشايخ العرب في شبه الجزيزة العربية، إلا أن تعرض الأخير للملاحقة من قبل المخابرات البريطانية قد دفعه إلى اللجو للسفارة الفرنسية، وبسبب هذه الأحداث طلب الخديوي عباس من بشير السعداوي أن يأتيه بالرسائل ليطلع عليها [73]، إلا أن السعداوي فؤجي في اليوم التالي بإغلاق قصر الخديوي عباس في حي البيك، وحراسته من قبل رجال الشرطة العثمانيين فعاد أدراجه إلى اسطنبول، ثم لم يلبث أن قرأ في صحف العاصمة أن الخديوي استأجر سفينة يونانية نقلته إلى خارج العاصمة العثمانية، وبهروب الخديوي عباس تحطم مشروع الجبهة الإسلامية الذي كان أحمد الشريف يتوق إلى تحقيقه بهدف القضاء على الاستعمار في البلاد العربية.[74]

خشى بشير السعداوي أن يكون المسؤلون قد اشتبهوا في أمره فظل مختفياً عن الأنظار أكثر من شهرين من الزمان، ثم غادر بعدها إلى بيروت في أوائل يوليو 1920م حيث كان أخوه نوري السعداوي، وكل أسرته وليس إلى بروسه

ولم يمض أسبوع واحد على خروج بشير السعداوي من اسطنبول، حتى كان أحمد الشريف قد خرج هو الآخر من بروسه إلى قونيه، فبعد احتلال اليونانيين لأزمير مايو1919م أخذوا يوسعون منطقة احتلالهم، حتى صار الخطر يتهدد

بروسه التي احتلوها أخيراً في نهاية يوليو 1920م.[75]

أحمد الشريف والتطورات السياسية في تركيا الحديثة :

شهدت العلاقات بين مصطفى كمال وأحمد الشريف تبدلاً جوهرياً عقب خلع السلطان وإلغاء الخلافة[76] وإجراء تغيرات جوهرية في القوانين والأحكام الشرعية، الأمر الذي زاد الأخير انزعاجاً على مستقبل الإسلام والمؤسسات الإسلامية في تركيا الجديدة، وعلق على ذلك قائلاً : "مازال أحمد الشريف" أي أن الدور سيأتي عليه لاحقاً.[77]

لم يقف أحمد الشريف إزاء هذه التطورات موقف المتفرج بل خاطب صديقه مصطفى كمال قائلاً له : " لم نناصرك ونقف معك إلا لأجل حفظ كيان الدين الإسلامي، وطلب إليه أن يعيد النظر عاجلاً في آرائه وإجراءاته التي أدت إلى هدم أهم وأخطر المؤسسات الإسلامية، ألا وهي حل الخلافة الإسلامية كمؤسسة شرعية ونظام سياسي للحكم الإسلامي".[78]

إلا أن مصطفى كمال لم ترق له هذه النصائح وعدّها تدخلاً في سياسته الداخلية، وتبع ذلك بإجراءات تنكرية وتعسفية ضد أحمد الشريف، فألغى الحرس الخاص به، وشدد الرقابة عليه، وأوقف المساعدات المالية التي كانت مخصصة له من الحكومة، وانتهت هذه العلاقة المضطربة بين أحمد الشريف ومصطفى كمال، وغيره من الضباط الأتراك بتوجيه تهمة الخيانة له لإتصاله ببعض أمراء آل عثمان، وطلب إليه أحد الخيارين، إما أن يغادر تركيا في بحر عشرة أيام أو أن تفرض عليه الإقامة الجبرية في إحدى القرى التركية[79]، لم يجد أحمد الشريف بداُ من مغادرة الدولة التي آلت إلى حكم مصطفى كمال، وأن طبيعة العلاقات التركية – البريطانية – الفرنسية الجديدة اقتضت إبعاده، ولا سيما أنه سعى لخلق جبهة إسلامية عريضة تضم الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق والمغرب بغية التصدي للنفوذ الاستعماري.[80]

وطبقاً لرواية كاتب أحمد الشريف فإن الأخير وبعد تسلمه تعليمات مصطفى كمال بمغادرة تركيا علق قائلاً : " كنت أتوقع هذا منذ خلع السلطان العثماني لأن بقائي في تركيا لا يروق لمن يريد أن يتلاعب بأمر الشرع الشريف ويطمس معالم الدين الحنيف وأنني أختار الخروج من تركيا وهذا جزاء

معاضدتي ومناصرتي لها، وسوف تخسر تركيا ميزتها بين الشعوب العربية والإسلامية".[81]

ويتضح لنا مما تقدم أن مصطفى كمال قام باستغلال أحمد الشريف ومكانته الدينية من أجل تحقيق أهدافه الرامية إلى تأسيس دولة تركية حديثة لا مكان للخلافة الإسلامية فيها، ولم يكن أحمد الشريف على دراية بذلك وعندما تحقق لمصطفى كمال ما يريد عمل على إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا وطرد الشخصيات الدينية الهامة منها، وكان على رأس هؤلاء أحمد الشريف لأن بقائه يهدد استمرارية هذه الدولة الحديثة.

وعليه فقد آثر أحمد الشريف مغادرة تركيا مكرهاً فتوجه إلى سوريا [82] وبذلك انتهت إقامته الطويلة في تركيا والتي دامت ست سنوات وشهرين[83] وبمغادرته تخلّص البريطانيون من أحد أبرز الشخصيات الداعية لمقاومة نفوذهم الاستعماري في المنطقة، خصوصاً في العراق الذي كان يجاور مقر أحمد الشريف لا سيما من جهة الحدود الشمالية.[84]

لم يكن اهتمام بريطانيا بأحمد الشريف بدون مبرر، فلقد اهتمت الحكومة البريطانية بتحركاته، ووضعتها تحت المراقبة خاصة بعد التصريح الذي أدلى به في 18 سبتمبر 1923م إلى مراسل وكالة أخبار(الاسوشيتد برس) بالشرق الأوسط حيث قال : " إن كفاحنا سوف ينتهي فقط عندما لا يبقى أجنبي واحد على تراب طرابلس الغرب (ليبيا)، ونحن مصممون على القيام بما قام بعمله الأتراك.إن العالم الإسلامي سوف يحرر نفسه كلياً من الهيمنة الغربية... إن العالم الإسلامي يؤيد الخليفة الجديد عبد المجيد، ويرفض مساعدة السلطان السابق محمد وحيد الدين، كما يرفض ادعاءات الملك حسين الذي تورط في أعمال تسيء إلى فرد من عائلة النبي (صلى الله عليه وسلم) ...، إننا نمثل الأغلبية من المغرب وحتى الحجاز واليمن ولكنه عندما تتحرر من عبودية الغرب... سوف نتعاون مع الغرب ولكن في مجال التقدم المادي فقط، أو سوف نراعي ألا يؤثر ذلك في روحنا وثقافتنا الإسلامية ".[85]

إقامته في سوريا :

وصل أحمد الشريف إلى سوريا قادماً إليها من تركيا في 29 أكتوبر 1924م ليحل ضيفاً على الأمير سعيد الجزائري كما أكدت ذلك صحيفة "الألف باء" الدمشقية في عددها الصادر في 30 أكتوبر من نفس العام حيث ذكرت بأن سعيد الجزائري قد تسلم برقية من أحمد الشريف يعلمه فيها بوصوله إلى سوريا وأنه سيحل ضيفاً عليه.

وفي الوقت نفسه أرسل القنصل العام البريطاني في دمشق برقيتين في 4 نوفمبر 1924م إلى وزارة الخارجية البريطانية. الأولى منهما كانت مختصرة تحدث فيها عن قدوم أحمد الشريف إلى سوريا، وإنه تقدم بطلب تأشيرة دخول إلى فلسطين ومصر. وكان القنصل يسأل بدوره عما يجب أن يفعله تجاه هذا الطلب.

وأما البرقية الثانية فكانت أكثر تفصيلاً حيث ذكر فيها بأن الأمير سعيد الجزائري قد طلب التأشيرات لأحمد الشريف،محذراً في الوقت نفسه من أن أي رفض يمكن أن يؤدي إلى بث روح السخط في الأوساط الإسلامية ضدهم. ولذا فإن القنصل قد منحه تأشيرة دخول إلى فلسطين منتظراً أوامر حكومته بخصوص تأشيرة الدخول إلى مصر.[86]

وقد لاحظ القنصل البريطاني في دمشق أن وجود أحمد الشريف أثار ضجة كبيرة، وأن الصحافة المحلية كانت عنيفة ضد البريطانيين الذين لم يمنحوه تأشيرة لدخول مصر، وفي اليوم التالي 5 نوفمبر 1924م قام أحمد الشريف شخصياً بزيارة القنصلية البريطانية لكي يطلب تأشيرة دخول إلى مصر.[87]

قام القنصل البريطاني في دمشق (فوجان رسل Vaughan Russel) بتلخيص الحديث الذي دار بينه وبين أحمد الشريف في برقية مؤرخة في 6 نوفمبر 1924م لوزارة الخارجية كان أهم ما جاء فيها: "... إن أحمد الشريف أكد له على مشاعر الحب الدائمة للإنجليز وبالأخص في برقة عندما عارض الخطة التركية للهجوم على مصر ، وكانت لديه الرغبة لزيارة الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج وزيارة المدينة المنورة، ومنها يرغب في السفر إلى برقة عن طريق مصر، وفي نهاية البرقية أبلغه القنصل بأنه سيعرض رغبته هذه على الحكومة البريطانية في لندن ".[88]

وفي اليوم نفسه كتب القنصل البريطاني تقريراً مطولاً يحوي تفاصيل دقيقة حول محادثاته مع الأمير سعيد وأحمد الشريف، والإضافتان الاثنتان على ما جاء في البرقية السالفة الذكر هما :

1- انتقاداته للجنرالات الأتراك في برقة لأنهم في سنة (1915- 1916م) لم يتنازلوا إلا على عشر الأموال المرسلة من اسطنبول، والاستيلاء على باقي المبلغ لاستعمالهم الخاص، أو استعمالها لتأليب القبائل الموالية لأحمد الشريف في الهجوم على مصر مما يجعله في موقف محرج.

2- أدان حكومة السلطان في اسطنبول لأنها منعته من الاتصال بالبريطانيين عندما كان في بورصه، بينما امتدح مصطفى كمال وأنصاره لأنهم عاملوه بكرم واهتمام عظيمين، ولكنه كرر بأنهم فعلوا ذلك لمصلحتهم الخاصة مشيراً إلى الخدمات التي طلبت منه والتي رفض تحقيقها لهم.[89] إن الشيء المهم حقاً في التقرير هو الرسالة الخطية من أحمد الشريف إلى القنصل البريطاني (فوجان رسل) والتي أعاد فيها القول: " أثناء دفاعي عن بلادي فقد حصل شيء أكرهه ولم أرد حدوثه وذلك عند الحدود المصرية أثناء الحرب العالمية الأولى، شيء خطط له بدون موافقتي... إنني أعترف بأن خطأي بأن مثل تلك الأعمال قد فرضت علي من طرف الأجانب الذين كنت سلمتهم زمام أموري...وأنني الآن أقسم بأنني سوف لن أتدخل في سياستكم أو مصالحكم في كافة أرجاء العالم، وأنني التمس من بريطانيا بأن تمنحني الطلبات الأربعة الآتية... ".[90]

أن الطلبات الثلاث الأولى التي قدمها أحمد الشريف تدور حول السماح له بزيارة القدس، والأراضي المقدسة ومصر. والطلب الرابع أن تنسى حكومة بريطانيا الماضي وتنظر إلى المستقبل.

وقد علق القنصل البريطاني على رسالة أحمد الشريف بقوله : " كان من الواضح بأن الشيخ يحاول أن يخفف من غضب البريطانيين نتيجة لأعماله أثناء الحرب، ويحاول إقناعهم بأنه أجبر على المشاركة في ذلك... يبدو لي بأن أغلب ما رواه الشيخ من المحتمل أنه غير حقيقي، ويبدو أن عداءه المفترض للكماليين أمر مشكوك به وربماليس من المستبعد أن الشيخ كان مفرطاً في تقريره

لإمكانياته ونفوذه عندما أدعى بأنه قادر على حل النزاع القائم بين مجموعتي الوهابيين والأشراف، وليس من المستحيل أن يكون لديه حل في دهنه، وهي صيغة للتسوية تتناسب مع أهداف الفرنسيين أو الأتراك السياسية".[91]

قامت وزارة الخارجية البريطانية بطلب آراء أقسام مختلفة حول موضع منح التأشيرة لأحمد الشريف.وكان رأي وزارة المستعمرات معارضاً لذهاب أحمد الشريف إلى الحجاز أو منحه أية فرصة ليشرك نفسه في النزاع القائم بين الشريف حسين وآل سعود.[92]

وفي 11 نوفمبر 1924م قام أحمد الشريف بزيارة القدس مع الأمير سعيد الجزائري، وعاد إلى دمشق في 18 نوفمبر. وفي اليوم التالي أبلغ الفرنسيون أحمد الشريف بأنه يجب أن يغادر سوريا خلال 48 ساعة، وقد أجابهم الأمير سعيد الجزائري بأن هذا مستحيل، فالإذن بالذهاب إلى جهة أخرى لم يتحصل عليه، بالإضافة إلى ذلك فإنهم إذا ما طردوا أحمد الشريف فأنه سوف يغادر هو أيضاً ولن يعود أبداً.[93]

جاءت ردود وزارة الخارجية البريطانية على طلبات أحمد الشريف في 28 نوفمبر على النحو التالي : فيما يخص التأشيرة إلى مصر فقد رفضت بشكل نهائي. كما رفضت منحه أي تسهيلات لزيارة ميناء الحديدة أو أي ميناء عربي آخر، وأعلمته أن أي تدخل من قبله في الشؤون العربية أمر غير مرغوب فيه من جميع الأطراف المعنية. وأما فيما يتعلق بزيارته إلى القدس والحجاز فقد تم منحه ذلك، وفيما يتعلق بطلب العودة إلى ليبيا عن طريق مصر فإن حكومة صاحب الجلالة ليس من اختصاصها ذلك، بل أن الأمر في ذلك يؤول إلى الحكومة الإيطالية، وأما بخصوص طلبه الرابع بشأن صداقته مع بريطانيا فهذا يعتمد على تصرفه مستقبلاً .[94]

بعد رفض الحكومة البريطانية لطلب أحمد الشريف الإذن له بالسفر إلى مصر طلب من الشيخ سليمان بن موشيكه ممثل الأمير عبدالعزيز آل سعود الإذن له بالسفر إلى الحجاز براً عن طريق الجوف وحائل.[95] وفي منتصف ديسمبر 1924م أرسل الآمر (تومي مارتين Tommy Martin) رئيس المكتب السياسي الفرنسي إلى أحمد الشريف يطلب منه مغادرة سوريا، لأن

التأشيرة الفرنسية التي منحت له كانت لمدة أسبوع. وأن بقائه أكثر من شهر ونصف كان لسبب التماس تقدم به الأمير سعيد الجزائري إلى السلطات الفرنسية.[96]

إقامته في الحجاز حتى وفاته 10 مارس 1933م :

وفي أواخر ديسمبر 1924م غادر أحمد الشريف سوريا براً في طريقه إلى الحجاز مصحوباً بخمسة من رجاله وكان موكبه الذي يضم ثلاثة سيارات قد واجه مشاكل جدية بعد عبوره منطقة الجوف، حيث تعرضوا للاعتقال من أنصار محمد بن عبدالوهاب الذين اعتقدوا أن أحمد لشريف ورفاقه يتبعون الأمير عبدالله بن الشريف حسين،وانتهت محنتهم التي دامت ثلاثة عشر يوماً نجوا فيها من الموت بأعجوبة وذلك بعد ما تقرر إطلاق سراحهم والسماح لهم بمواصلة المسير نحو منطة حائل .[97]

لقد أعلمأحمد الشريف الأمير سعيد الجزائري بوصوله سالماً إلى منطقة حائل، والذي أعطى بدوره تلك المعلومات لصحيفة الألف باء الدمشقية، التي قامت بنشرها بتاريخ 27 يناير 1925م، وجاء الخبر كالتالي: " لقد تسلمنا رسالة من أحمد الشريف فحواها أنه ومعاونيه وصلوا إلى حائل بسلام، وأنهم عند وصولهم علموا[98]بأن ابن سعود قد أرسل لهم وفداً لاستقبالهم والإعداد لرحلتهم إلى مكة، وإن الأهالي في حائل استقبلوه بكل حفاوة. وأنه يرغب في السفر مباشرة إلى المدينة المنورة، ولكن وفي ضوء الدعوة الملكية لا يسعه إلا الاستجابة ومواصلة الرحلة إلى مكة بدلاً من المدينة المنورة... ".[99]

فور وصول أحمد الشريف إلى مكة توجه لأداء مناسك العمرة والتقى خلال زيارته لمكة بالأمير عبدالعزيز آل سعود الذي طلب منه التفاهم مع الحكومة الإيطالية، وفتح باب المفاوضات معها لإيجاد طريقة لحل مسألة الحرب القائمة في برقة، وعقد هدنة يعود بموجبها إلى ليبيا ويدرك البقية الباقية من أهلها المتعبين، وفيما يلي نورد بعض مقتطفات من حديث أبن سعود : " أن أهل وطنكم في ذمتكم ويحتاجون إلى تفكيركم في راحتهم وتداركهم قبل القضاء عليهم وهم مهما يقاومون فلا بد أن يكلوا لأن هذه الحكومة قوية ولديها ما يحتاجون من لوازم الحرب، وعقد الهدنة معها يجعل لكم فرصة تجتمعون

خلالها بأهل وطنكم... وتلمون شتاتهم، وترتبون أموركم على حسب ما تستطيعون من مصالحة أو محاربة فيما بعد، وهذا هو الذي دعاني إلى طلبكم". (100)

وعلى ما يبدو أن أبن سعود قد تلقى إيحاءً من الحكومة البريطانية فيما قدمه من نصائح لأحمد الشريف، ذلك أن هذه الأفكار تتطابق مع رؤية الإنجليز تجاه العلاقة التي يجب أن تكون بين أحمد الشريف والحكومة الإيطالية.

لما كان أحمد الشريف رجلاً فطناً ومحللاً سياسياً بارعاً إلى جانب كونه رجل مرموق، فقد أوضح للأمير أبن سعود، بجلاء حقيقة نوايا الحكومة الإيطالية في بلده (ليبيا) ورفض الإذعان للمساومات والمهادنة التي تضيع معها كرامة الوطن وحقوق أهله، وقال في هذا الصدد : " صدقتم في كل ما قلتم ولكن يا حضرة الأمير الحكومة الإيطالية غادرة وماكرة ولا عهد لها ولا ذمة وإذا كانت صادقة في رغبتها فعندها أهل الوطن وهم المحاربون لها وأمامها والأمير محمد إدريس السنوسي عرفته وعرفها وهو ينوب عني وعن أهل الوطن فتتفاهم معه وهو أهون لها مني والين، أما أنا ما هت خارجاً عن الوطن بعيداً عنه فلن أساوم فيه، وحكومة إيطاليا تريد أن تحكم الوطن باسمي نظير إغرائي بأموالها ووعودها الخلابة، وأنا أريد تخليص الوطن منها كلياً، كما سيكون أن شاء الله عاجلاً أو آجلاً ولذلك أرجو أن تتموا إحسانكم لي وتساعدوني على هجرتي، وإعفائي من ألاعيب إيطاليا وعدم انشغالكم بما لا يأتي بنتيجة ". (101)

فقال الأمير عبدالعزيز : أما مساعدتكم على هجرتكم فهذا حاصل أن شاء الله، ولا لنا فيه جميل وأما موضوع الوطن وأهله فأنتم أدرى به، ولن نشغلكم ثانية أن شاء الله، نرجوا الله أن يقدر للجميع ما فيه الخير والنصر والتوفيق". (102)

في25 مايو 1925م تقدم أحمد الشريف بطلب إلى القنصل البريطاني في جدة طالباً أيضاً المساعدة البريطانية للعودة إلى ليبيا. وأكد فيه على صداقته للبريطانيين، وطالب بإعادة ممتلكاته في مصر التي قامت الحكومة البريطانية بتأميمها على أساس أن جنسيته تركية ولعلاقته بالخلافة الإسلامية، وإن يعامل

أسوة بالأتراك فيما يتعلق بإعادة الممتلكات وهو الأمر الذي جرى بعد نهاية الحرب.[103]

ومن جهتها تولت وزارة الخارجية البريطانية أمر الرد على رسالة أحمد الشريف ففيما يتعلق بممتلكاته التي أراد استعادتها على أساس المادة الخامسة والستين من معاهدة لوزان ذكرت الحكومة البريطانية في القاهرة بأن ممتلكات أحمد الشريف بوادي النيل قد أممت بسبب عدائه لبريطانيا، بينما ممتلكاته الغربية قد بيعت كممتلكات عدو. وأما بخصوص أمر عودته إلى ليبيا، فقد تم رفضه مرة أخرى.

وقد أبلغ السيد (مارفين هيربيرت Mervin Herbert) من وزارة الدولة للشؤون الخارجية الممثلين البريطانيين بالشرق الأوسط " بأن أحمد الشريف لا يجب السماح له بالعودة إلى مصر... ويجب إبلاغ الإيطاليين بهذا القرار وبأن بريطانيا ترفض تقديم العون الذي طلبه أحمد الشريف ".[104]

وفي 11 ديسمبر 1925م طلب أحمد الشريف من الأمير عبدالعزيز آل سعود التوسط لدى الحكومة البريطانية من أجل السماح له بالسفر إلى ليبيا وبدوره طلب الأمير من (السيرجيلبرت كلايتون Sir Gilbert Clayton) القنصل البريطاني في الحجاز بأن يسعى لدى حكومة بلاده كي تسمح لأحمد الشريف بالسفر إلى مصر حيث يأمل في إعادة أملاكه المصادرة، والسماح له بالعودة إلى الجغبوب من أجل العيش فيها بسلام. وأكد ابن سعود للسير (كلايتون)نقلاً عن أحمد الشريف بأن الأخير لم يدخل الحرب ضد بريطانيا إلا نتيجة للضغوط الكبيرة التي مارستها عليه كلٍ من الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا ،وأنه حالياً متلهف للابتعاد عن كل نشاط سياسي، إلا أن السير (كلايتون) أجابه بأنه حكومة بلاده ليس لديها اهتمام أو مصلحة في رصد تحركات أحمد الشريف في الوقت الحالي، أما رغباته تلك فأنها تعني بصورة رئيسة السلطتين الإنجليزية في مصر والإيطالية في ليبيا، ويجب عرض هذا الطلب عليهما لأخذ الموافقة بذلك.[105]

ومع بدء أعمال مؤتمر الخلافة في القاهرة في مايو 1926م تقدم أحمد الشريف مرة أخرى بطلب للقنصلية البريطانية في عدن من أجل الحصول على

تأشيرة دخول لمصر لغرض المشاركة في هذا المؤتمر. وتول المندوب السامي البريطاني في عدن بدوره إحالة طلب أحمد الشريف في برقية إلى وزارة المستعمرات والتي قامت بدورها بإرساله إلى وزارة الخارجية في لندن بانتظار الرد فيما يمكن اتخاذه من إجراءات. (106)

إلا أن اللورد لويد الموجود في القاهرة قد ابرق إلى المندوب الإنجليزي في عدن بتاريخ 20 مايو 1926مقائلاً : " إن مؤتمر الخلافة سينتهي في 20 مايو والحكومة المصرية تسلمت برقية مباشرة من السيد أحمد الشريف وقد أجابوا بأنهم لا يستطيعون الإذن له بالدخول إلى مصر. ويجب عدم إعطائه الإذن له بالسفر عبر السودان ". (107)

وفي 23 يوليو 1926م طلب أحمد الشريف من الضابط البريطاني السابق (سي. كروفورد C. Krovord) والذي تحصل على مساعدته في تجارته وبحثه عن النفظ في عسير أن يتوسط له عند السلطات البريطانية، وما كان من الأخير إلا أن أبرق إلى الحكومة في لندن معبراً عن مشاعر الصداقة التي يكنها أحمد الشريف تجاه الحكومة، وأنه يسأل عما إذا كانت الأخيرة ستعترض لو أنه دبر له أمر السفر من الجزيرة العربية إلى الساحل السوداني وبالتالي يمكنه العودة إلى برقة أو الجغبوب. (108)

غير أن الحكومة البريطانية ردت على برقية الضابط سي. كروفورد وأبلغته بأنها لا تريد التنازع مع الحكومة الإيطالية، وأنه إذا أراد الذهاب إلى برقة فعليه طلب ذلك من الإيطاليين مباشرة. ولم تكتف الحكومة البريطانية برفض طلب أحمد الشريف فحسب،ولكنها أيضاً أبلغت السفير الإيطالي في لندن بالأمر في 2 أغسطس 1926م والذي بدوره شكرهم على التعاون. ومن جهتها فإن الحكومة الإيطالية قد قدمت شكرها هي الأخرىرسمياً إلى الحكومة البريطانية على ذلك التعاون في 18 أغسطس 1926م. (109)

في 21 أكتوبر من نفس العام نجحت مساعي أحمد الشريف في إبرام معاهدة صلح عرفت بمعاهدة مكة والتي سوت الخلاف الحدودي الذي كان قائماً بين أبن سعود سلطان نجد، وبين الحسن على الإدريسي أمير عسير. وفي عام 1930 أعلن الأخير إنظمام إمارته عسير إلى مملكة نجد وملحقاتها في الحجاز

وصار عبد العزيز بن سعود يعرف بسلطان نجد وملحقاتها وملك الحجاز وعسير، ثم أصبح يلقب بملك الحجاز ونجد وملحقاتها.[110]

وطوال إقامته في الحجاز ظل أحمد الشريف متفرغاً لدعم المجاهدين في ليبيا، وكان قد أتخذ من مواسم الحج والعمرة وسيلة للاتصال بالليبيين واستقبال الرسل الوافدة إلى مكة من قادة حركة الجهاد وكان يزودهم بالتوجيهات والتعليمات والتبرعات التي جمعها خلال مواسم الحج والعمرة، وفي عام 1929م قام أحمد الشريف بإنشاء لجنة المسلمين من جميع الدول أثناء مواسم الحج والعمرة من أجل جمع المساعدات لصالح حركة الجهاد الليبي، وكان أول ثمار هده اللجنة ما قيمته مئة ألف ليرة إسترليني أرسلها إلى الشيخ عمر المختار.[111]

كان أحمد الشريف على اتصال دائم بقادة حركة الجهاد ويرسل إليهم الرسائل ليحثهم فيها على الاستمرار في الجهاد وينبه إلى خطورة دور الخونة والعملاء، ويحذر من الانقياد لهم ويتضح دلك من خلال رسالته التي وجهها إلى المجاهد عبدالرازق فرج العوامي[112] في عام 1928م، ومما جاء فيها : "... قد بلغني منكم ما سرني عن تعاقدكم وجمع كلمتكم على المدافعة عن الوطن فجدوا واجتهدوا في الدفاع فالعدو خروجه من طرابلس محقق بحول الله لأنه إنشاء الله تتحقق الآمال وينزل بهم الهلاك والدمار، وابشروا بالفتح والنصر فقد فزتم بخير الدنيا والآخرة... وإياكم وحيل العدو فلا يغرركم بها ولا تخافوهم الله يؤيدكم وينصركم... ولا تركنوا يا ولدي إلى من يزين لكم ويمنيكم ويثبطكم عن الجهاد... ولا تتفرقوا ولا تتنازعوا ولا تفسدوا واعملوا أن الله معكم ولن يتركم أعمالكم... وانظروا إلى غدرهم وخداعهم للسيد الرضا السنوسي[113] كيف خانوهوأخرجوه من الوطن غدراً وخيانة وقبله السيد هلال السنوسي أعانهم في دخولهم إلى الجغبوب... فلا تسلموا في وطنكم ولو أسر السنوسية كلهم وأنا واحد منهم... وان أمرتكم بنفسي بالتسليم فلا تتبعوني. وقد تواترت على رفضهم مرارا وتكرارا ووعدوني بالملايين فلم نصغ لقولهم... بلغ سلاما إلى من هو معكم واليكم وعلى كافة أهل الوطن عموما وسلاما إلى المجاهدين خصوصا وعلى نفسكم الكريمة ".[114]

وفي 30 مايو1931م طلب أحمد الشريف من السفير البريطاني في جدة (أ.ريان A. Ryan) أخذ الإذن له من الحكومة البريطانية بزيارة السودان لأسباب صحية وأنه سيوافق على أي شروط تفرضها حكومة صاحب الجلالة. وقد أجابته السلطات البريطانية بالرفض، وجاء رفضها كالتالي:" إنه ليس من مصلحتنا أن تستخدم السودان كمركز لمؤامرات أحمد السنوسي. إن حقيقة أن الحجاز ترغب في التخلص منه فقط ليست بسبب يوجب إرهاق حكومة السودان به... وأنه سيكون أشد خطورة على الجانب الغربي من البحر الأحمر منه في الحجاز، وأنها ستكون خطيئة فاحشة منحه التأشيرة ".[115]

ومن جهته عبر القنصل الإيطالي في جدة عن مخاوف حكومته من وصول أحمد الشريف إلى ليبيا وذلك في رسالة أرسلها إلى القنصلية البريطانية في جدة بتاريخ 3 يونيو 1931م ومما جاء فيها : " إنه... وبالرغم من أن أحمد الشريف مريض ولكنه في نشاط سياسي تام... وأن الحكومة الإيطالية تخشى من أنه إذا ما وصل إلى السودان فأنه سيجد الوسائل للذهاب إلى أبعد من ذلك ".[116]

بعد استشهاد شيخ الشهداء عمر المختار قام المجاهد يوسف بورحيل المسماري بإرسال رسالة إلى أحمد الشريف في الحجاز يعلمه فيها بالخبر ويطلب منه تكليف شخصاً آخر ليحل مكانه ومما جاء في هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سيادة عمنا الكبير (يقصد أحمد الشريف) يحفظه الله ويرعاه ويطول عمره في الخير، بعد السلام وتقبيل أياديكم الكرام...

سيدي إن الراعي الذي كان يقود الحركة الثورية مات ونفذ فيه أمر الله...

أرجو من سيادتكم عندما تستلموا رسالتي هذه أن تختاروا من يقوم مقامه لكي يستلم مقاليد الأمور مع كافة الموجودات كما أرجو حسن الاختيار لكي تسير الثورة في طريقها الصحيح وحتى لا يضيع الوقت كافة الموجودات سدى لا سمح الله وإذا لم تستطيعوا الاختيار أو تتعطلوا في الإنجاز فستتحملون مسؤولية كل ما يحدث من ضرر وأخطاء للثورة والثوار،ولا حول ولا قوة إلا بالله...والسلام 14 سبتمبر 1931م... يوسف بو رحيل".[117]

قام أحمد الشريف بالرد على هذه الرسالة برسالتين الأولى بعث بها إلى المجاهد عبدالحميد العبار يعزيه فيها باستشهاد شيخ الشهداء عمر المختار والثانية للمجاهد يوسف بورحيل يعلمه فيها بتكليفه قائداً لحركة الجهاد في المنطقة الشرقية.[118]

وفاة أحمد الشريف :

ظل أحمد الشريف مقيماً في الحجاز دون أن يستطيع مغادرته إلى أي قطر عربي آخر؛ بسبب الرقابة التي فرضتها عليه السلطات الإيطالية والبريطانية ومكث بالمدينة المنورة إلى حين وافاه الأجل يوم الجمعة 10 مارس 1933م وذلك إثر مرض عضال،لم يمهله طويلاً ، ففاضت روحه الطاهرة راضية مرضية ودفن بمقبرة البقيع، بعد أن ضايقته السياسة الغاشمة حرباً شعواء لم تعلن على غيره، فتركيا أمرته بمغادرة أراضيها، وفرنسا وبريطانيا منعتاه من البقاء في المشرق العربي، أو حتى زيارته، كما أبت أن تسمح له بالدخول إلى مصر لأجل التداوي والعلاج، وهكذا عاش أحمد الشريف يعاني أهوال الاستعمار حتى توفاه الله.[119]

عقب وفاته قامت أغلب الصحف الصادرة في تلك الفترة في الحجاز ومصر بنعيه، ونشرت على صفحاتها مقالات أشادت فيها بصفات الفقيد، وعن دوره في نشر الإسلام والجهاد ضد الاستعمار. فقد نشرت مجلة الطائف المصورة مقالاً عنه في 20 مارس 1933م حيث نعت فيه المجاهد أحمد الشريف السنوسي، وذكرت بجهوده في مكافحة الاستعمار سواء كان الإيطالي أو الفرنسي أو الإنجليزي، وكيف أنه أخذ بزمام المبادرة في مواجهة الغزاة لإيطاليين بعدما انشغلت الدولة العثمانية في مشاكلها الداخلية، كما أشادت المجلة برفض المجاهد أحمد الشريف لمحاولات الصلح الغير المتكافئ وأوردت، في هذا الصدد إحدى أقواله والذي جاء فيه: "أني لا أصالح أبداً دولة مسيحية على شبر من أرض المسلمين " وأضافت المجلة بأن أحمد الشريف" استمر في جهاده المستميت إلى آخر سنوات الحرب العالمية حيث سافر إلى تركيا، وعرضت عليه الخلافة الإسلامية فرفضها وبعد أن وضعت الحرب أوزارها التجأ إلى بلاد الحجاز وظل فيها أربعة عشر عاماً بعيداً عن الوطن

محتفظاً بإيمانه وتقشفه ووطنيته إلا أنه لبى ربه وله في القلوب أفعم الذكريات". [120]

أما في برقة فقد أعلنت وفاته بجريدة (بريد برقة الأسبوعية)، وبالرغم من شدة الرقابة وكون الجريدة حكومية إلا أنها كتبت تحت عنوان : (وفاة أحمد الشريف) بأن وراء كل حرف منه شعور كل فرد من أفراد الأمة الفياض نحو فقيدها العظيم فبكته جميع الأمة في صمت وذهول إذ لا يستطيع أي فرد من أفرادها الظهور بذلك كما لا يستطيع والحالة هذه إخفاء شعوره المسيطر وهنا اجتمع الضدان رغم القاعدة المعروفة (ضدان لا يجتمعان) بكته الأمة أجمعها في شتى صور البكا، بكاه ساكنوا المدن وهم القريبون من مراكز إيطاليا وتحت متناول يدها وعلى مرأى ومسمع من مخبريها، وبكاه الشعراء والمغنون في شيء من اللغز والطلاميس داخل أغنياتهم وأشعارهم، وبكى في أبيات قديمة من الشعر أخذت ترددها الألسن وبكته النساء لمناسبة ذكرى أمواتهن القدماء فأخذن يتغنين في ذلك حتى يعرف أدباء لغة البدو أن المبكى عليه هو أحمد الشريف واطنبن في وصف المجهول الذي أخذن يبكينه بما هو جدير به وبكاه الرعاة في الفلا واشترك في البكا عليه جميع أفراد الأمة بمختلف أنواع البكاء. [121]

أما في المشرق العربي فقد نعته أغلب الصحب بأقلام أكابر الشعراء والكتاب ومن بينهم أمير البيان شكيب أرسلان الذي كتب مقالاً نعى فيه أحمد الشريف واعتبر أن فقدان هذا البطل يعد خسارة ليس لوطنه فحسب بل للعالم الإسلامي ككل، وذكر أيضاً بمواقفه الثابتة في الصمود في وجه الغزاة الإيطاليين وأعوانهم خاصة وأن إيطاليا كانت آنذاك من أكبر القوى الاستعمارية الأوروبية ومما جاء في هذا المقال : " ولولا المجاهد أحمد الشريف رحمه الله تعالى لاغتصبت إيطاليا قطري طرابلس وبرقة من الشهر الأول من غاراتها الغادرة عليها، وإننا لا نزال نذكر كلام القادة ورجال الساسة الأوروبية عن الحملة الإيطالية يوم جردت للاستيلاء على هذين القطرين إذ قال بعضهم إن إيطاليا ستقبض على ناحية الأمر وتستكمل هذا الفتح في مدة خمسة عشر يوماً". [122]

أما الشاعر المصري الكبير الأستاذ أحمد محرم فقد أبنه بقصيدة خالدة قال فيها :

هتف النعي فما ملكت بياني ... ليث النعي إلى الأمام تعاني
فزع الحيطم وراع يثرب عاصف ... للموت ضج لهوله الحرمان
سهم أصاب المساميع وجال في ... كبد الهدى وحشاشته الإيمان
جرح الأئمة واستمر فما أرعوى ... حتى استباح مقاتل الفرسان
ذهب الإمام يقيم حائط دينه ... ويراه أنفع ما يقيم الباني
ذهب المجاهد يشتري لبلاده ... عن الحياة بأشرف الإيمان.[123]

وبالنسبة للحكومة الإيطالية فأنها أعلنت نبأ وفاة أحمد الشريف على لسان وزير المستعمرات في ذلك الوقت الجنرال (دي بونو De Bono) الذي صرح من داخل قاعة المجلس الفاشستي قائلاً : " مات أحمد الشريف السنوسي بالحجاز متأثراً بالشلل، وبموته ماتت جميع مخاوفنا في أفريقيا... إن موت أحمد الشريف العدو اللدود لنا يجعلنا نطمئن لجميع أعمالنا ومقاصدنا في شمال أفريقيا ".[124]

وبوفاة المجاهد أحمد الشريف طويت صفحة مشرفة في سجل النضال العربي ضد الاستعمار الأوروبي.

النتائج

من خلال هذا العرض تبين لنا النتائج التالية :

- ألقت الظروف التي أعقبت فشل الحملة العثمانية على القوات البريطانية بمصر أعباءً ثقيلة على أحمد الشريف دفعت به إلى المغادرة القسرية لوطنه إلى المنفى بتركيا.
- ساهمت نتائج الحرب العالمية الأولى في إحداث انقسام (تصدع) في الدولة العثمانية بين السلطان في الآستانة، وأنور باشا في القوقاز، ومصطفى كمال في الأناضول، فقد سعى كل منهم لاجتذاب أحمد الشريف إلى صفه واستغلال مكانته الدينية والاجتماعية المميزة في العالم الإسلامي لتحقيق مآربه السياسية.

- تكشفت لأحمد الشريف النوايا الحقيقية لمصطفى كمال بعدما وثق به، إذ ظهرت النزعة الطورانية والمواقف العلمانية لرجل تركيا الفتي، وهو ما جعل أحمد الشريف يدرك – في وقت متأخر – بألا مكان له في تلك الدولة التي لطالما علق عليها آمال في دعم قضية بلاده، ولذا فإنه غادر إلى الحجاز بعد أن أغلقت في وجهه أبواب البلدان العربية الأخرى.
- حاول الخديوي عباس حلمي هو الآخر استغلال المكانة الدينية والاحترام الذي يحظى به أحمد الشريف وذلك لإذابة الفوارق بين مشايخ وأمراء منطقة شبه الجزيرة العربية، وخلق جبهة إسلامية عريضة يقف بها ضد الدول الأوروبية لا سيما بريطانيا التي ساهمت في إقصاءه عن الحكم، ويعتبر هذا الموقف، تحول هام في سياسة الخديوي الذي كان مناصراً للإنجليز منذ توليه الحكم في يوليو عام 1874م إلى حين عزله في سبتمبر 1914م.
- عمل الإنجليز على تحييد النفوذ المتعاظم لأحمد الشريف على الساحة الدولية آنذاك لا سيما أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى وحاولوا بشتى السبل إقصاءه عن تكوين جبهة إسلامية موحدة تقف في وجه المد الاستعماري الأوروبي.
- فشل الجهود الحثيثة التي بذلها ابن سعود لحمل أحمد الشريف على إبداء المرونة والتفاهم مع الحكومة الإيطالية، فلقد اشتم أحمد الشريف رائحة التآمر على بلاده، وهو ما كان واضحاً من خلال الضغوط التي مارستها الحكومة البريطانية على حلفائها في المنطقة ما يخدم أهدافها وتطلعاتها.
- تركت وفاة المجاهد أحمد الشريف آثاراً عميقة على المستويين المحلي (الوطني)، والإقليمي، وهو ما يعبر بجلاء عن المكانة المرموقة التي كان يحظى بها المجاهد الكبير لدى أبناء وطنه الشرفاء الذين وقفوا صفاً واحداً مع حركة الجهاد ولم يخلدوا للإستكانة أو الاستسلام للعدو الغاصب كما أحدثت وفاة الفقيد أصداءً واسعة في البلاد العربية والإسلامية، حيث نعته شخصيات بارزة، وتصدر خبر وفاته العناوين الرئيسية في عدد من كبريات الصحف، وهذا الأمر يؤكد ومما لا يدع مجالاً للشك ؛ الاحترام والتقدير

الكبير الذي تتمتع به هذه الشخصية الفذة التي لم تعرف طريقها لمهادنة العدو على حساب كرامة الوطن وعزته

الهوامش:

1- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد – بريطانيا، ط2، 2005م، ص 156.

2- مصطفى سعد الهاين، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1980م، ص 24.

3 – الأمير شكيب أرسلان

4- محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، عفيف البعلبك، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1977م، ص 331.

5- محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص158.

6- انظر كلا من : عبد الله علي إبراهيم، آثار صلح لوزان على حركة الجهاد، ضمن كتاب بحوث ودراسات من التاريخ الليبي، طرابلس، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية، 1988م، ص108، ومحمد عبد الرزاق مناع، جذور النضال العربي في ليبيا، بنغازي، 1972م، ص47.

7- عبد الله علي إبراهيم، المرجع السابق، ص108.

8- أحمد عطية مدلل، " دراسة وثائقية في تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في الجزء الشرقي من ليبيا نوفمبر، ديسمبر 1914م "، مجلة الشهيد، العدد السابع والثامن، طرابلس،، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ضد الغزو الإيطالي، أكتوبر 1986 – 1987م، ص 53.

9- جلال يحي، تاريخ الغرب الكبير، ج4، بيروت، 1981م، ص21.

10- جعفر بن مصطفى ابن عبد الرحمن العسكري (1885 – 1936م) : هو قائد عراقي، ولد ببغداد وتخرج من المدرسة الحربية في اسطنبول، حارب مع العثمانيين في القصيم سنة 1905م، واشترك في حرب البلقان وأرسل سنة 1915م بصحبة نوري بك إلى برقة من أجل مهاجمة حدود مصر الغربية، اعتقله الإنجليز جريحاً في معركة العقاقير، فبراير سنة 1916م، وعندما قامت الثورة في الحجاز على العثمانيين أفرج عنه،وعين فيما بعد وزيراً للدفاع في أول حكومة وطنية بالعراق، وتولى رئاسة الوزراء سنة 1924م، وفي أيامه وضع الدستور العراقي، وعقدت المعاهدة الأولى بين بريطانيا والعراق، ثم

عين وزيراً مفوضاً للعراق بلندن، وعندما قامت الثورة بالعراق سنة 1935، كان وزيراً للدفاع،وقد أعدمته الثورة رمياً بالرصاص. للمزيد راجع : مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، طرابلس، منشورات مركز دراسة الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م، ص85.

11- محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، القاهرة، مطبعة الهواري، 1947م، ص312.

12- المرجع نفسه، ص 312.

13- أهم ما جاء في مرسوم السلطان العثماني :" هو دعوة الليبيين إلى الجهاد وإبلاغهم بتعيين المجاهد سليمان بك الباروني لتولى تنظيم الأمور حسبما هو مفصل في المرسوم السلطاني وأمرهم إلى الاحتفاء به وامتثال أوامره والاتحاد والتعاون على خدمة وطنكم وحماية دينكم وشرفكم " للإطلاع على نص المرسوم كاملاً انظر : حبيب وداعة الحسناوي، " المقاومة العربية المشتركة في ليبيا وتونس ضد الاستعمارين الإيطالي والفرنسي "، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الأول، 1985م، ص151- 157.

14- مفتاح بلعيد غويطة، الموقف الشعبي المصري من حركة الجهاد في ليبيا 1911 - 1931م، طاربلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م، ص 273.

15- تشكيلات مخصوصة : هي منظمة سرية عثمانية مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للإمبراطورية، و مكافحة التجسس الأجنبي عليها، أما عن تاريخ إنشاء هذه المنظمة فكان في 5 أغسطس عام 1914م عندما أصدر أنور باشا مرسوماً سرياً بإنشاء هذه المنظمة.أما عن الأسس الفكرية والعقائدية التي قامت عليها المنظمة ففي بدايتها كانت مزيجاً من الأفكار المتذبذبة حول مسالة الدعوة إلى إنشاء رابطة لكافة الشعوب الإسلامية لتنضوي تحت علم الإمبراطورية العثمانية إما فيما بعد فإنها سلكت اتجاهاً قومياً يدعو إلى الالتفاف حول الجنس الطوراني وتتريك شعوب الإمبراطورية مما أدى إلى انبعاث وترسيخ الروح

القومية لدى شعوب الإمبراطورية وخاصة البلدان العربية وشعوب البلقان.أما عن أهداف المنظمة زعزعة التسلط الاستعماري والروسي والفرنسي والبريطاني الإيطالي عن كافة البلدان الإسلاميةللمزيد انظر كلاً من : عبد الموالي صالح الحرير، منظمة تشكيلات مخصوصة السرية وأدوارها في حركة النضال الوطني (1911 – 1918م)، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الأول، السنة الأولى، 1979م، ص14- 45، ومذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص13 – 17.

16- لظر كلاً من : مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص58، ومفتاح بلعيد غويطة، المرجع السابق، ص 272.

17- محمد الطيب الأشهب، المصدر السابق، ص314.

18- كان من بين أهم المعارك التي دارت بين الطرفين معركة وادي ماجد الأولى نوفمبر 1915م، ومعركة أم الرخم 13 ديسمبر 1915م، معركة وادي ماجد الثانية ديسمبر 1915م، معركة بئر بوتونس يناير 1916م، معركة وادي مقتلة فبراير 1916م، معركة العقاقير فبراير 1916م، معركة بقبق 13 مارس 1916م، معركة السلوم مارس 1916م، معركة بئر حكيم مارس 1916م، معركة قربة فبراير1917م.للمزيد انظر :عبد الرحمن عزام، كفاح الشعب الليبي في سبيل الحرية، ترجمة : عماد الدين غانم، مجلة الوثائق والمخطوطات، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الثاني، 1987م، ص 332 – 356.

19- محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص256.

20- مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص78.

21- مصطفى علي هويدي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تارخ الجهاد الليبي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م، ص195.

22- المرجع نفسه، ص 195 – 196.
23- مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص 97.
24- المرجع نفسه، ص 100.
25- محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 272 .
26- محمد أحمد الطوير ورفعت عبد العزيز سيد، تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي 1911-1931م، القاهرة، مركز الحضارة العربية 1988م، ص130
27- عبد المولي صالح الحرير، " العلاقات بين السيد أحمد الشريف ومصطفى كما أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد الليبي "، مجلة الشهيد، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الرابع، 1983م، ص185.
28-هذا الخطاب مرسل من أحمد الشريف السنوسي بالمدينة المنورة رداً على الخطاب الذي أرسله إليه الشيخ عمر المختار بالجبل الأخضر بتاريخ 20 مايو 1924م . وكان شديد اللهجة ويلومه فيه على سفره إلى تركيا، كما يلوم فيه محمد إدريس، السنوسي على هروبه إلى مصر، وترك المجاهدين في هذه الحالة الصعبة.للإطلاع على نص هذا الخطاب كاملاً انظر : إدريس صالح الحرير، مواقف خالدة لعمر المختار، ضمن كتاب عمر المختار نشأته وجهاده 1863 – 1931م، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1989م، المرجع السابق، ص68.
29- عبد المولي صالح الحرير، " العلاقات بين السيد أحمد الشريف ومصطفى كما أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد الليبي "، المرجع السابق، ص186.
30- قام إدريس السنوسي بتوقيع العديد من الاتفاقيات مع الحكومتين البريطانية والإيطالية كان أهمها : اتفاقية الزويتينة عام 1916م واتفاقية عكرمة عام 1917م واتفاقية الرجمة عام 1920م واتفاقية بومريم عام 1921م وجميع هذه الاتفاقيات هدفت إلى إنهاء حركة الجهاد في ليبيا والاعتراف بالاحتلال الإيطالي لليبيا في مقابل الاعتراف به أميرا على برقة وتوقف حركة الجهاد

بسببها في المنطقة الشرقية حتى عام 1923م.للمزيد انظر أمين سعيد، الدولة العربية المتحدة، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، 1938م، ص 304 – 309.

31- مصطفى سعد الهاين، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، المرجع السابق، ص 52.

32- مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص 162.

33- مصطفى علي هويدي، " رحيل أحمد الشريف إلى تركيا "، مجلة الشهيد، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد التاسع، 1984م، ص126.

34- المرجع نفسه، ص 274.

35- محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص182.

36- مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص 163 – 164.

37- مصطفى علي هويدي، " رحيل أحمد الشريف إلى تركيا " المرجع السابق، ص128.

38- المرجع نفسه، 128.

39- المرجع نفسه، ص 128.

40- عثمان فؤاد : وصل الأمير عثمان إلى ميناء قصر أحمد بمصراتة، حيث أنزلته غواصة تركية هناك في 4 مارس 1918م، وهو معين كقائد عام للقوات الأفريقية بشمال أفريقيا خلفاً للفريق نوري باشا الذي سافر بناءً على استدعاء من أخيه أنور باشا ليتولى قيادة الجيش التركي بالقفقاس، وتعيين الأمير عثمان قصد به ربط واستمرارية تبعية ليبيا للحكم العثماني، وهو ضعيف الشخصية، ولم يكن في مستوى نوري باشا، وتأثيره كان محدوداً خاصةً على كبار الضباط. للمزيد راجع : مختار الهادي بن يونس، القضاء العرفي خلال فترة

الجهاد الليبي من(1916 – 1919م)، مجلة الشهيد، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الخامس، 1984م، ص33 - 38.

41- مصطفى علي هويدي، " رحيل أحمد الشريف إلى تركيا " المرجع السابق، ص130.

42- المرجع نفسه، ص 130 – 131.

43- يوسف بن شتوان : ينحدر من أسرة معروفة في بنغازي، وكان يشغل في ذلك الوقت منصب رئيس (محكمة الادعاء العسكري) في الإمبراطورية العثمانية، للمزيد راجع :عبد المولى صالح الحرير ، " منظمة تشكيلات مخصوصة السرية وأدوارها في حركة النضال الوطني (1911 – 1918م) "، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الأول، السنة الأولى، 1979م، ص41 - 42..

44- مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، ترجمة : عبدالمولى صالح الحرير، طرابلس، منشورات مركز درلسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1979م، ص 19- 50.

45- قاسم الجميلي، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، طرابلس، منشورات مركز درلسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 2003م، ص120.

46- مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، طرابلس، منشورات درلسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م المرجع نفسه، ص175.

47- المرجع نفسه، ص175.

48- مصطفى كمال أتاتورك : مصطفى كمال أتاتورك ولد في 12 مارس سنة 1881م في مدينة سالونيك، وفي عام 1893م دخل المدرسة العسكرية العليا حيث منحه مدرس الرياضيات الاسم الثاني كمال (ويعني الكمال)إقراراً بإنجازات مصطفى المتفوقة بعدها عرف باسم مصطفى كمال، وفي عام 1905م تخرج من الكلية العسكرية في اسطنبول برتبة نقيب أركان حرب ورقي في عام 1916 إلى رتبة عقيد وعمره 35عاماً لتفانيه وبطولاته في خدمة الإمبراطورية العثمانية وفي عام 1922م اجتمع المجلس الوطني حيث

أعطى مصطفى كمال لقب رئيس الأركان برتبة مارشال وفي 3 مارس 1924م ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة من البلاد، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وحول المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن أن تركيا دولة علمانية وأغلق كثيراً من المساجد، وحول مسجد آيا صوفيا الشهير إلى متحف، وجعل الأذان باللغة التركية، واستخدم اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأبجدية العربية، وفي عام 1934م أعطاه البرلمان اسم أتاتورك (أبو الأتراك)، وأصبحمصطفى كمال في السنة التالية رئيساً للجمهورية التركية، كما أنه كان رئيساً للحزب الوطني التركي، وهو يعد مؤسس دولة تركيا الحديثة، وتوفي 10 نوفمبر سنة 1938م بعد مرض استمر عدة اشهر. للمزيد راجع كلا من : مقالة بعنوان : " مصطفى كمال أتاتورك " منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنت الموقع : ar. wikipedia. org ، ص 1 – 3.

49- محمد عيسى صالحية، صفحات من الوثائق السرية الليبية، رسائل أحمد الشريف 1875 – 1933م، مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنت، الموقع : centre.net/ bayannat 2.htm WWW.meditrranean، ص9.

50- قاسم الجميلي ، المرجع السابق، ص 121.

51- عبد المولى صالح الحرير، " العلاقات بين أحمد الشريف، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد "، المرجع السابق، ص188.

52- قاسم الجميلي، المرجع السابق، ص122.

53- عبد المولى صالح الحرير، " العلاقات بين أحمد الشريف، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد "، المرجع السابق، ص188.

54- بعث السلطان العثماني عن طريق صهره خالد درويش رسالة إلى السيد أحمد الشريف يحذره من مصطفى كمال أتاتورك جاء فيها : " يا مولانا يا خادم الإسلام، يا فرع الدوحة النبوية، إياك أن تغتر بمظاهر الدين التي يصطنعها مصطفى كمال للوصول إلى غايته فإنني ربيته في بيتي وبين عائلتي، وعرفت ظاهر أمره وباطنه ما في قلبه ذرة من إيمان أو خوف من الله أو مبالاة بما يعمله، ودينه هواه، ولو تمكن لأضر بالإسلام والمسلمين..."للمزيد راجع عبد

المولى صالح الحرير،، " العلاقات بين أحمد الشريف، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد "، المرجع نفسه،ص188.
55- المرجع نفسه،ص188.
56- المرجع نفسه ، ص189.
57- المرجع نفسه، ص 189.
58- السنوسي بلاله، المرجع السابق، ص 15.
59- عبد المولى صالح الحرير، " العلاقات بين أحمد الشريف، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد "، المرجع السابق، ص190.
60- المرجع نفسه، ص 190.
61- المرجع نفسه، ص 190.
62- المرجع نفسه، ص 190.
63- المرجع نفسه ، ص 190.
64- المرجع نفسه، ص 191.
65- المرجع نفسه ، ص191.
66- المرجع نفسه ، ص 191.
67- المرجع نفسه ، ص 191.
68- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1957م، ص515.
69- المصدر نفسه، ص516.
70- المصدر نفسه، ص516.
71- زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص 121 – 123.
72- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص 516.
73- المصدر نفسه، ص 516.
74- المصدر نفسه، ص517.
75- وصل بشير السعداوي إلى بيروت يوليو 1920م إلا أنه لم يمكث بها طويلاً حيث قرر وأخوه نوري السعداوي أن ميدان العمل صار الآن في ليبيا

التي وصلها في أوائل سبتمبر 1920م للمزيد راجع : محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص517 – 521.

76- ارسل مصطفى كمال أتاتورك مبعوثه عصمت باشا إلى بريطانيا سنة 1921م لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا، فوضع اللورد (كيرزون Kerzon) وزير خارجية بريطانيا شروطه على هذا الاستقلال وهي : أن تقطع تركيا صلتها بالعالم الإسلامي، وأن تلغى الخلافة الإسلامية، وأن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة، وأن تختار تركيا لها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية. للمزيد راجع : مقالة بعنوان : " مصطفى كمال أتاتورك " منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنت، المرجع السابق، ص 1 - 3.

77- عبدالمولى صالح الحرير، " العلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد "، المرجع السابق، ص192.

78- المرجع نفسه، ص192.

79- قاسم الجميلي، المرجع السابق، ص128.

80- المرجع نفسه، ص128.

81- عبد المولى صالح الحرير، " العلاقات بين أحمد الشريف، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد "، المرجع السابق، ص192.

82- السنوسي بلاله، المرجع السابق، ص4.

83- أورخان كولوغلو، أحمد الشريف السنوسي، 1923 – 1931م،وفقاً لوثائق وزارة الداخلية البريطانية، ترجمة : الهاشمي محمد بالخير، مجلة الوثائق والمخطوطات، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الثاني، 1978م، ص71.

84- قاسم الجميلي، المرجع السابق، ص128.

85- اورخان كولوغلو، المرجع السابق، ص72.

86- المرجع نفسه، ص 73.

87- المرجع نفسه، ص 73.

88- المرجع نفسه، ص74.

89- المرجع نفسه، ص 74.
90- المرجع نفسه، ص 74.
91- المرجع نفسه، ص77.
92- المرجع نفسه، ص74.
93- المرجع نفسه، ص77.
94- المرجع نفسه، ص78.
95- المرجع نفسه، ص80.
96- المرجع نفسه، ص81.
97- المرجع نفسه، ص 78.
98- عومل أحمد الشريف باحترام في أثناء إقامته في الحجاز فيما عدا أنه قد تعرض لسوء المعاملة مرة أخرى على أيدي رجال القبائل عندما ذهب لزيارة قبر السيدة خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تم تهديده بالبنادق ولم ينقذ إلا بصعوبة، وذلك لاشمئزاز الوهابيين من تبجيل القبور للمزيد انظر : اورخان كولوغلو، المرجع نفسه، ص 80.
99- المرجع نفسه، ص82.
100- علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في شمال أفريقيا، الحركة السنوسية في ليبيا، وسيرة الزعيمين محمد المهدي، وأحمد الشريف، عمان، دار البيارق، 1999م، ص 124.
101- المرجع نفسه، ص 125.
102- المرجع نفسه، ص 125.
103- اورخان كولوغلو، المرجع السابق، ص82 - 83 .
104- المرجع نفسه، ص82.
105- المرجع نفسه، ص87.
106- المرجع نفسه، ص87.
107- المرجع نفسه، ص86.
108- المرجع نفسه، ص87.
109- المرجع نفسه، ص 88.

110- انظر كلاً من : جريدة أم القرى، العدد الصادر في 3 رجب 1345هـ 7 يناير 1927م. منشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) الموقع : WWW.Mogatel.com، وزاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص 22- 23.

111- اورخان كولوغلو، المرجع السابق، ص 88

112- عبدالرازق فرج العوامي : ولد بالقرب من بلدة (بطة) بالجبل الأخضر عام 1883م، وفي أكتوبر من العام 1911م كان من بين المتطوعين للدفاع عن الوطن، وبعد تسلم عمر المختار القيادة قام بتعيينه قائدا عاما للمقاومة الشعبية، وبعد استشهاد عمر المختار وانتهاء حركة المقاومة قرر الهجرة إلى مصر حتى اندلاع الحرب العالمي الثانية وتشكلت القوات الليبية في مصر لتقاتل بجانب القوات البريطانية وسرعان ما التحق بتلك القوات برتبة ملازم أول بالفرقة الأولى، وبعد انتهاء الحرب وتطهير البلاد من الجيوش الإيطالية والألمانية 1943م أصبح عبدالرازق العوامي مسؤولاً للمبيعات لدى شركة السيد أبى القاسم أحمد الشريف ثم جاء إلى المرج والتحق بنظارة الزراعة والغابات كحارس للغابات وبقى يمارس هذه العمل حتى انتقل إلى جوار ربه يوم 15 مايو 1972م ودفن بمقبرة سيدي خليفة بالمرج.للمزيد انظر سعد محمد بوشعالة، " المجاهد عبدالرازق فرج العوامي "، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الثاني، يوليو 1989م المرجع السابق، ص9 – 26.

113-نجحت إيطاليا عن طريق عملائها مبدئياً في شق وحدة المجاهدين في الجبل الأخضر فاستطاعت إقناع الحسن الرضا الذي كان يشغل منصب المفتش العام بان يقبل مبدأ المصالحة مع إيطاليا نظير شروط في غير صالح الحركة الوطنية مما أدى إلى أن رفضها عمر المختار ولكن ذلك أدى إلى انشقاق المجاهدين إلى جبهتين الأولى : يقودها الحسن الرضا وتدعو إلى مصالحة إيطاليا وفق شروطها وقد عرفت هذه المجموعة بدور الدقيق نظراً لتوزيع الإيطاليين عليهم كميات كبيرة من الدقيق والذي اتخذ من وادي الجل جنوب مراوة مقراً له، والثانية : يقودها عمر المختار التي أصرت على رفض شروط إيطاليا ورفضت الاستلام لها بأي ثمن وتحت أية ظرف. وفي نهاية الأمر